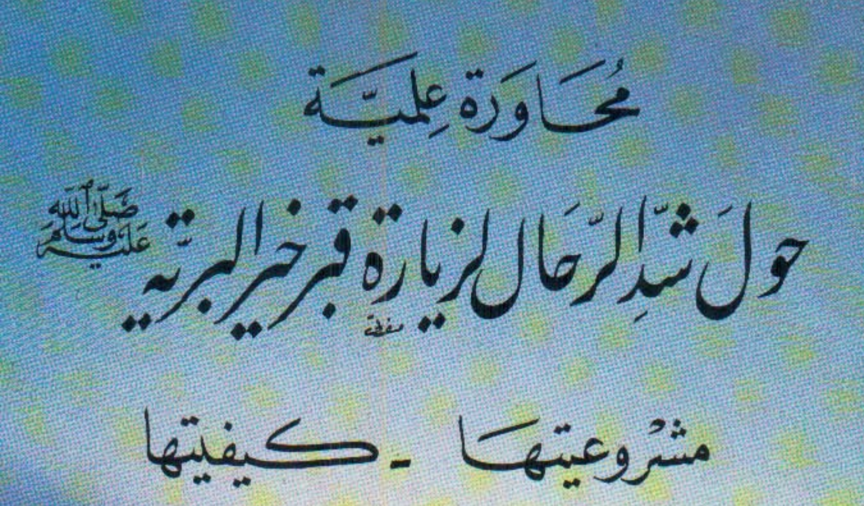


مُحاورة علمية

حول شد الرحال لزيارة قبر خير البرية ﷺ

مشروعيتها - كيفيتها

ملحق بمساجد المدينة وآبارها في عهد النبي ﷺ



تأليف

إبراهيم القادري

مُحَاوَرَة عِلْمِيَّة

حَوْلَ شَدِّ الرِّحَالِ لِزِيَارَةِ قَبْرِ خَيْرِ البَرِيَّةِ ﷺ

مشروعيتها - كيفيتها

ملحق بمساجد المدينة وآبارها في عهد النبي ﷺ

تأليف

إبراهيم القادري

دار القادري

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م



دمشق - ص.ب ١٠٣٤٤
بيروت - ص.ب ١١٣/٥٥٨٧

الإهداء



إبراهيم القادري

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : فأحبّ أن أقدم بين يدي هذا الكتاب بكلمة عن « أدب الخلاف » .

١ ـ كان عصر السلف ومن بَعْدَهم من أهل القرون الأولى العصر الذهبي للإسلام ، كان علماؤه يجمعون بين العلم والحلم ، لم تضق صدورهم بالخلافات الكثيرة في فروع الشريعة ، فلو أخذت أي كتاب فقه أو حديث أو تفسير من كتب تلك الطبقة لوجدتها زاخرة بالأقوال دون تثريب أو تجهيل أو تبديع أو تفسيق لقائل ، كذلك لم نسمع أنهم استتابوا عالماً لمخالفته في مسألة فروعية .

هذه مسألة شد الرحال قال بها قبل ابن تيمية ابن عقيل صاحب كتاب « الفنون » وقال بها الإمام أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين ، وقال بها القاضي حسين المروزي من كبار شافعية خراسان وشيخ الإمام البغوي و لم يمنع تحري الحق وطلبه إمام الحرمين الجويني من أن يرد على والده بأدب جمّ .

والأمثلة كثيرة لا تحصى .

٢ ـ أما عصر ابن تيمية ومن بعده فكان عصر علم ولم يكن عصر حلم ، كان تضيق صدور علمائه لأدنى مخالفة فكم من عالم استثيب لفتوى فقهية ، وليس شيخ الإسلام ابن تيمية إلا واحد من ثلة من العلماء الأجلاء الذين وضعوا في السجون مع المجرمين والقتلة لا ذنب لهم إلَّا أنهم أفتوا في مسائل فقهية بفتاوٍ لم تعجب قضاة ذلك العصر ، فكان أن صبّوا جام غضبهم عليهم واستعملوا سلطانهم في النيل منهم .

إن من حق كل عالم أن يقول ما شاء ضمن دائرة اختصاصه فلا حدود لحرية البحث والنظر . ومن حق كل عالم أن يرد على من يظن أنه أخطأ بكل وسائل البيان ضمن حدود الأدب الإسلامي ، كتب شيخ الإسلام عن مسألة شد الرحال بما رأى أنه صواب ، وردّ عليه السبكي ما رآه صواباً ، ورد على السبكي ابن عبد الهادي منتصراً بالدليل والبرهان لابن تيمية كل هذا يدل على نضج وحيوية في الأمة ، ودليل على صحة تفكيرها أما استعداء السلطان والاعتداء على العلماء بالشتم والقذف والسجن والضرب فهذا إفلاس وانحطاط ما بعده انحطاط .

٣ ـ أما عصرنا هذا فلا علم ولا حلم إلَّا من رحم ربُّك ، تجد كثيراً من الناس يكتفون من الكلام برنينه ونغمته أما أن يفقهوا فحواه ومراد مؤلفه فهذا ليس من شأنهم ، وترى كثيراً منهم يضعون الردود على علماء لم يقرأوا لهم حرفاً واحداً ولا اطلعوا على الكتاب الذي يردون عليه .

وحبذا لو عمل القائمون على معاهد العلوم الشرعية على تدريس طلاب العلم الشرعي أدب النقد ، ولا بأس بأن تدرس نماذج رفيعة في هذا الباب ، ككتاب « نقض كتاب في الشعر الجاهلي » للعلامة الجليل السيد محمد الخضر حسين ، وكذلك كتاب « الأضواء الكاشفة » للعلامة المعلمي ، لتعليم الطلاب كيف تُقرأ النصوص ، وكيف تمحّص الآراء ، وكيف يصاغ الرد ، وكيف يكون الأدب .

وأخيراً ، فهذا الكتاب تعرّض لمسألة شد الرحال فحقق فيها ومحّص ، وانتهى المؤلف إلى ما رآه صواباً ، ملتزماً الأدب الإسلامي في البحث والنقد والنقاش .

أسأل الله تعالى أن يجزل الثواب لمؤلفه ، وأن يجعل كتابه نموذجاً يحتذى في أدب الخلاف والحمد لله رب العالمين .

دمشق ١٤١٥/٤/٢٢
١٩٩٤/٩/٢٧

الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد رسول الله ، المبعوث رحمةً للعالمين ، وعلى آله ؛ وصحبه ؛ الذين جاهدوا لرفع راية لا إله إلا الله في الأرض حتى أتاهم اليقين ...

أما بعد : فقد كتبت هذا البحث ـ بحث زيارة قبر الرسول ﷺ ـ لأني رأيت أنّ غاية من أنكر الرحلةَ لزيارة قبر الرسول الكريم ﷺ بنيةٍ حسنة وقصدٍ كريم ـ هو إبعاد المسلمين ، زائري قبور الأنبياء والصالحين عما يقترفونه عندها من جاهليات وشركيات ... مستدلاً بحديث : « لا تشدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا » ـ متفق عليه . رأيته أنكر واستدل ... فلم يوفق ... ولم يهتد إلى دليل ...

وأدخل الموضوع ـ موضوع زيارة القبر النبوي الكريم ـ في ضبابٍ من الكلام يحجب الرؤية الصادقة ، ويدير الرؤوس حيرةً وعجباً .. !!

وللتقريب والربط بين الموضوع ودليله (الذي ليس بدليل) ذهب

المانعون يشعلون حوله شموعاً خافتةً ... واهنة لا تضيء ... تطفئها هبة من تحقيق ... أو لمسة من تأمل ... وعمّ هذا المفهوم الخاطىء كثيراً من خلق الله ، فاتخذوا سبيل المانعين ... دون برهان مبين .

وكان الأَوْلى بمن يمنع زيارة تلك القبور – وهي من المأمورات المسنونات – سداً لباب الفتنة كما يقصدون أن يصرّوا على الكيفية المأثورة عن حضرة النبي الكريم ﷺ ويبينوها للناس ، ولكنهم لم يفعلوا ... !!

بل شرّقوا وغرّبوا ، وأبعدوا وأغربوا ، وهربوا إلى غير مهرب ، واستدلوا بحديثٍ لم يحصل لهم به مطلب ...

أما لماذا اخترت كتابة البحث في صيغة حوار ، فلكي يُقرأ دون ملل ، وإمتاعاً للنفس ... فإن الإنسان لا يتمتع بقراءة المواضيع تمتعه بها وهي في ثوب حوار .

وبعد أن تقررت شرعيّة زيارة[1] قبر الرسول ﷺ بهذه الطريقة التي اخترناها ، وبما سردنا في خلال البحث من تحقيق علمي هادىء – ذكرنا الوجه الشرعي فيها ، تجنباً من لوثة الجهالات التي دعت بعضَ العلماء والمسلمين إلى منع زيارة القبر الكريم والرحلة إليه .

☆ ☆ ☆

(١) أحب أن أنبه القارىء الكريم إلى أن المراد بـ (بزيارة القبر الكريم) هو الزيارة المطلقة سواء كانت برحلة أم بغير رحلة .

ثم أحببت أن أُلحق بهذا البحث أسماء المساجد والآبار التي كان رسول الله ﷺ يرتادها ، ويتصل بها ، فتنزل عليه رسائل من السماء ، أو يحدث حديثاً ، أو يقرر حكماً في تلك الأماكن فهي توضح للقارىء مجاله ﷺ ، وحركته في تلك الأماكن فهي جزء من سيرته ، وتوضيح لسبب حديثه ، وبيان لسبب نزول آية من آيات الله لعباده .

يا حبذا لو حافظ لنا الأجيال الماضية على آثاره ﷺ في المدينة المنورة وغيرها كما هي ، وبشيء من التفصيل ، لو فعلوا ... لكانت صورةً حياته ﷺ أوضحَ مما كتب كتّابُ السيرة رحمهم الله ، ولكانت ماثلة أمامنا نحن جيل القرن الخامس عشر ، وأمام الأجيال القادمة ...

ولكانت خدمةً جليلة لهذا الدين المنزل للعالمين ...

بيد أن ما لا يدرك كله لا يترك كله ، فلعل الزائر لآثار رسول الله ﷺ الباقية يهتدي إلى الصورة القريبة من حياته ﷺ اليومية ، ويستلهم منها ما يدور في تلك الأجواء الحية بنزول جبريل عليه السلام ، وحياة الصحابة الكرام حول النبي ﷺ ، وتماوج أعداء الله واضطرابهم بداخل المدينة وخارجها ، ومكرهم بالدين الجديد ...

لعل الزائر يهتدي إلى شيء من ذلك وعسى ...

هذا ، وأسأل الله العلي العظيم أن يثقل بهذا البحث ميزاني يوم

القيامة ، ويقربني إلى مقام سيدي رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ .

مكة المكرمة ١٤١٥/٢/٣٠ وكتبه

١٩٩٤/٨/٧

إبراهيم القادري

القسم الأول

مُحَاوَرَة عِلمِيّة

حَولَ شَدِّ الرِّحَالِ لِزِيَارَةِ قَبرِ خَيرِ البَرِيَّة ﷺ

مشروعيتها - كيفيتها

الباب الأول

مشروعيتها

جرى في دار مولانا الشيخ عبيد حفظه الله بمكة المكرمة وفي حضرته الحوارُ التالي بين زيد وصاحبه أبي حميد .

زيـد : السلام عليكم مولانا (قالها وهو يضحك) .

الشيخ عبيد: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، ما لي أراك ضاحكاً يا زيد ؟ .

زيـد : سيدي أضحك من صاحبي أبي حميد ! .

الشيخ : ما له ؟ .

زيـد : قلت له (ونحن في طريقنا إلى فضيلتكم) : سأزور غداً (إن شاء الله) قبر رسول الله ﷺ في المدينة المنورة ، فوقف واجماً وقد اُمتُقِع لونه ، ثم اضطرب كأنه لُدغ ، وقال مستنكراً : لا تقل هذا يا أخي ، لا تقل : أزور قبر الرسول ، ولكن قل : سأزور مسجد الرسول ، فإنه لا يجوز أن ترحل إلى المدينة المنورة لزيارة قبره ﷺ ، قالها وهو مخلص فيما يبدو لي ، ويعتقد أنه قام بالنهي عن المنكر .

ثم التفت زيد إلى صاحبه أبي حميد وقال :

أتعجب يا أخي مما تقول ! لماذا لا يجوز ذلك ؟ .

أبو حميد : (وهو قائم باعتدال واعتداد ، وينظر إلى زيدٍ شزراً) لأنّ

رسول الله ﷺ قال : « لا تشدّ الرحالُ إلا إلى ثلاثة مساجدَ ، المسجدِ الحرام والمسجدِ الأقصى ومسجدي هذا » متفق عليه .

زيـد : (وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة رقيقة) يا أخي استنكرتَ عليّ زيارة قبر الرسول ﷺ ، ثم استدللت بالحديث المذكور على حرمة زيارة القبر النبوي الكريم . إنني بصراحة لا أدري ولا أفهم ما تقول ! .

أبو حميد : (بحدةٍ ...) أقول : إنّ رسول الله ﷺ منع شدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد ، أفهمت ؟ ... .

زيـد : والله لم أفهم ... ! (قالها بتواضع) .

أبو حميد : ألغز هو ؟

الأمر واضح وضوحَ الشمس في كبد السماء ، الحديث يقول لك بفصيح العبارة : لا ترحل إلا إلى ثلاثة مساجد .

زيـد : نعم ، وألف نعم لحديث رسول الله ﷺ ، لن أشدَّ رحلي إلى أيّ مسجدٍ في الأرض مبتغياً بذلك مزيداً من ثواب الله إلّا إلى المساجد الثلاثة فقط ، ولكن مالك تمنعني عن زيارة قبره ﷺ ؟

ومن أين جئت بهذا الربط بين زيارة قبره ﷺ وبين هذا

الحديث الشريف ؟ والحديث لا يدلّ على منع زيارة القبر المبارك لا تصريحاً ولا تلميحاً ، ولا يتعرض لها لا سلباً ولا إيجاباً .

أبو حميد : كيف ... ؟ كيف ... ؟ (وقد شخص بصره ، ثم جال نظره ، وبدت الحيرة على صفحة وجهه ، فقبض على جبينه ، وأصبح يفكر ...) .

زيــد : يا حبيبي إنَّ رسولَ الله ﷺ يخبر أمته بهذا الحديث أن المساجد في الأرض كلّها متساوية في الثواب والرتبة ، لا يفضل مسجد على مسجد ، وإذا كان الأمر كذلك فلا ترحل أيها المسلم طلباً لمزيد الثواب إلى المساجد ، ولا تشدّ رحلك ، ولا تتعب نفسك ... فصلاتك في مسجد قريتك كالصلاة في المسجد الأموي بدمشق فضلاً وثواباً ، وصلاتك في مسجد بلدك كصلاتك في الجامع الأزهر فضلاً وثواباً ، فهي متساوية في الرتبة ، غير متفاوتة في الفضيلة وإنما تشدّ الرحال طلباً لمزيد الثواب إلى المساجد الثلاثة المذكورة في الحديث الشريف فقط ، فالصلاة في المسجد الحرام بمئة ألف صلاة ، والصلاة في مسجد رسول الله بألف صلاة والصلاة في المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة .

أبو حميد : (وقد أغمض جفونه ... وهز رأسه) نعم ، أكمل ... أكمل ...

زيــد : هذا معنى الحديث يا أبا حميد ، وهو المقصود منه ، فلا يقوم الحديث الشريف دليلاً على ما ذهبت إليه من منع زيارة قبر الرسول ﷺ ، وذلك لأنّ الدليل لا يصلح دليلاً على معنًى من المعاني إلا إذا كان ذلك المعنى من مدلولات الدليل ومن مشمولاته ومن جزئياته وزيارة قبر الرسول ﷺ لا تدخل مدلولات الحديث ومعانيه ، ولا يدل الحديث عليها بوجهٍ من الوجوه ، فالقبر قبر والمسجد مسجد ، لا صلة ولا قرابة بينهما لا لفظاً ولا معنًى أفهمت يا أبا حميد ؟ .

أبو حميد : صدقت ... (قالها وقد عضّ على شفته السفلى ندماً) فهمت الآن ، والله كأنك رفعت عن بصري غشاوةً . أتعرف يا أخي زيد أننا لا نستعمل عقولنا ... ! وننطلق في أحكامنا دون روية مع الثقة بفلان ... وعلان ... فتأخذنا رياح الإمّعة إلى مكان سحيق . نترنح ، ونترجرج ، ونحسب أننا وحدنا على طريقة أهل السنة والجماعة ، الله يغفر لنا ويرحمنا ...

زيــد : (وقد تربع ، وأخذ يوضح ...) أما يجوز لي أن أزور البحر ؟ أما يجوز لي أن أزور أهرامات مصر ، وأشدّ الرحال إليها ؟ أما يجوز لي أن أزور حديقة الحيوانات ؟ أما يجوز أن أزور المتاحف التي تحتوي أجسام الفراعين المحنطة ؟ أما يجوز لي أن أزور قبر والدي أو أيّ قبر من

قبور المسلمين .

أبو حميد : بلى ... بلى ... (ويهزّ رأسه موافقة) .

زيـد : أتجوّز لي أن أزور القبور وغير القبور ، وتحرّم عليّ زيارة قبر الرسول ﷺ ؟ من أين لك هذا ؟ .

أبو حميد : (بعد لحظة صمت وغـمضة عين ، وهـزة رأس) : حقاً ، العلم نور ... جوزتيتم عنا كل خير يا زيد ! .

(كل ذلك الحوار جرى أمام شيخنا الشيخ (عبيد) حفظه الله وفي حضرته ، وهو يتبسم للحوار ؛ ويستمع بوقار العلماء وسمت الفضلاء ، وبعد انتهاء الحوار التفت إلى أبي حميد صاحب زيد ، وقال : الحق ما قال زيد يا أبا حميد ؟ .

أبو حميد : زدني علماً يا سيدي ، حقاً كنت إمعةً ، كنا نقول كما يقول الناس الذين من حولنا دون روية ، فشططنا ... ومنعنا ... ونهرنا ... وحسبنـا أننـا على الطريقـة المثلى وغيرنا في ضلال مبين ... !! غفرانك اللّهم غفرانك .

الشيخ عبيد: يا بني إنّ العرب يستعملون في كلامهم أسلوبين :

آ ـ أسلوب الإنشاء مثل قولهم :

في الأمر « اكتب الرسالة »

وفي النهي « لا تكتب الرسالة » .

ب ـ وأسلوب الإخبار مثل قولهم :

في الإثبات « كتب محمد الرسالة »

وفي النفي « لا يكتب محمد الرسالة » .

فالأسلوب الأول يدلّ على الأمر « اكتب » وعلى النهي « لا تكتب » . والتنفيذ في هذه الحالة واجب إلّا إن دلّت قرينة صارفة ...

والأسلوب الثاني يدلّ على الإخبار عن الكتابة « كتب محمد ... » وعدمها « لا يكتب محمد ... » إخباراً لا يتعرض للأمر والنهي بشيء ... والحديث الشريف من أسلوب الإخبار . وسنأتي لك بروايتين للحديث الشريف المذكور من أسلوب الإخبار المحض ، تدلّان على ما نقول .

أبو حميد : إذاً الحديث إخبارٌ عما في المساجد الثلاثة من فضيلة وحضٌّ وترغيب ، لا أمر فيه ولا نهي .

الشيخ : نعم ... نعم ... لا يأمر النبّي ﷺ أحداً من أمته بالرحلة إليها ولا ينهى منها أحداً ، وإنّما يخبر إخباراً عن حصول الثواب الوفير فيها ، ويرغب فيها ترغيباً ، كما أن الحديث الشريف لا يدلّ على منع زيارة أيّ مسجد من المساجد على وجه الأرض ، لأنه أسلوب نفي لا أسلوب نهي ، هذا معنى الحديث يا أبا حميد .

أبو حميد : زدنا علماً بمعنى الحديث يا مولانا ، إننا والحق يقال في عمىً ... ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم .

الشيخ عبيد: يا ولدي إنَّ عبارة الحديث الشريف من أسلوب الاستثناء هل تعرف شيئاً عن هذا الأسلوب العربي البليغ ؟ .

أبو حميد : أرجو يا مولانا أن تزيدنا شرحاً لهذا الحديث النبوي الشريف على ضوء أسلوب الاستثناء فإنّا (والله يا مولانا) قد اغتربنا عن اللغة العربية ومذاقها ، وغلبتنا لغة الجرائد وأساليبها الركيكة ، فلم نعد نتذوق اللغة الفصيحة التي أنزل بها القرآن العظيم ومراميّها ، فنتخبط فيها خبط عشواء ، ونعيش في ظلام لغوي دامس .

الشيخ : أجل يا ولدي إن الاستثناء استفعال من قولك : « أثناه عن الأمر » أي صرفه ، وهو عند النحويين إخراج ما بعد (إلَّا وأخواتها) من حكم ما قبلها مثل قولك : (جاء القوم إلَّا زيداً) .

فالمخرَج (زيداً) يسمى (مستثنى) والمخرج منه (القوم) يسمى (مستثنى منه) وإلَّا وأخواتها تسمى (أداة الاستثناء) .

أبو حميد : وضّح سيدي وضّح ... إني لا أفهم كثيراً ، المعاني تتراقص أمامي ، وتختلط ، تقترب وتبتعد ...

الشيخ : اصبر وامش معي رويداً رويداً ، ستفهم إن شاء الله .

نقول : الاستثناء هو صرف لفظ (المستثنى منه) عن عمومه بإخراج المستثنى (زيداً) من أن يتناوله ما حكم به على المستثنى منه (القوم) ، فإذا قلتَ : جاء القوم ظنّ مخاطبكم أن زيداً داخل معهم في حكم المجيء أيضاً فإذا قلت (إلا زيداً) استثنيته منهم ، فقد صرفت لفظ

القوم عن عمومه باستثناء أحد أفراده ، وهو (زيد) من حكم المجيء المحكوم به على القوم .

أبو حميد : جيد ... جيد ! .

الشيخ : (يتابع ...) لذلك كان الاستثناء تخصيص صفةٍ عامة بذكر ما يدل على تخصيص عمومها وشمولها بواسطة أداةٍ من أدوات الاستثناء وهي : « إلَّا وأخواتها » .

أبو حميد : يا سيدي أرجو شرح الحديث على ضوء ما ذكرتم من البيان الاستثنائيّ ، فإني أرى أنّ الأمر ينجلي أمامي شيئاً فشيئاً ، أكثر من ذي قبل .

الشيخ : وقبل أن نخوض في شرح الحديث يجب أن تعلم أيضاً أنّ المستثنى منه قد يكون مذكوراً مثل قولك « جاء القوم إلَّا زيداً » وقد يكون محذوفاً مثل قولك : « ما جاء إلا زيد » ويسمى الاستثناءُ الأخيرُ الاستثناءَ المفرغَ .

أبو حميد : ما هو الاستثناء المفرغ ؟ .

الشيخ عبيد: دعك من هذا ، إنه اصطلاح نحوي ، والذي يهمنا هو أن تعرف أن الحديث النبوي المذكور : « لا تشدّ الرحال إلَّا إلى ثلاثة مساجد ... » ـ قد حذف منه المستثنى منه ، فنحن ـ في الحديث الشريف ـ أمام حالتين :

الحالة الأولى هي :

أن يكون المحذوف هو كلمةَ (شيء) ، فيكون تقدير

الكلام هكذا : لا تشدّ الرحال إلى شيء إلَّا إلى ثلاثة مساجد ... .

أبو حميد : نعم ... صحيح ...

الشيخ : وبناءً على ما ذكره المانعون عن زيارة القبر الكريم من أنّ النفي هنا يراد منه النهي ، والنهي يقتضي التحريم ، فيحرم شد الرحال لطلب العلم لأنه شيء

ويحرّم شدّ الرحال للجهاد لأنه شيء

ويحرم شد الرحال لطلب التجارة لأنها شيء

ويحرم شد الرحال إلى آثار الغابرين لأنها شيء

ويحرم شد الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين لأنها شيء

ولا جرم أنَّ هذا خلاف ما هو مقرر في الدين ، وخلاف ما جاء به الرسول الأمين ﷺ فإنه يقول : « طلب العلم فريضة على كل مسلم »

ويقول : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنة »

ويقول تعالى : ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ... ﴾ [الجمعة : ١٠]

ويقول تعالى : ﴿ ... وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله ... ﴾ [المزمل : ٢٠]

ويقول تعالى : ﴿ ... هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً

فامشوا في مناكبها ، وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾
[الملك : ١٥]
ويقول تعالى : ﴿ ... أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ... ﴾ [محمد : ١٠] .

أبو حميد : نعم ... نعم هو كذلك .

الشيخ : (يتابع كلامه) أما الحالة الثانية فهي :
أن يكون المستثنى منه المحذوف كلمة (المساجد) ، فيكون تقدير الكلام هكذا : لا تشدّ الرحال إلى مساجد الأرض إلَّا إلى ثلاثة مساجد ...
ويكون معنى الحديث الشريف لا تشدّ الرحال إلى مساجد الأرض لطلب الثواب المضاعف إلَّا إلى ثلاثة مساجد فقط ...

أبو حميد : جيد ... فهمت ... ، زدنا رحمكم الله توضيحاً .

الشيخ : اصبر وتابعني يا أبا حميد ، إنّ عبارة الحديث الشريف لا تحتمل إلا هذين الوجهين المذكورين .
والوجه الأول باطل كما علمتَ ، لأنه يخالف ما هو مقرر في هذا الدين ، وما جاء به الرسول الأمين ﷺ فلا يمكن ويستحيل شرعاً وعقلاً أن يطلب من أمته خلاف ما جاء به ﷺ .

أبو حميد : هل لكم يا مولاي أن تضربوا لي على ذلك مثلاً ؟ .

الشيخ : ذلك كالسير في الأرض وفجاجها للاطلاع على آثار الغابرين الذين طغوا وبغوا ، فأخذهم الله بعذابه .

وكطلب العلم والرزق إلخ فإنها مأمورات ندب إليها الإسلام .

ومن المعلوم بالضرورة أنَّ هذه المطالب لا تتم للإنسان إلَّا بشد الرحال في أكثر الأحيان .

فيستحيل من الرسول الكريم أن يطلب من أمته أن يفعلوا شيئاً ويحرمه عليهم في آن واحد .

فلم يبق أمامنا إلَّا الوجه الثاني ، وهو تقدير كلمة (المساجد) في الحديث ، فتكون عبارة الحديث بعد ذكر المستثنى منه المحذوف : « لا تشد الرحال إلى مساجد الأرض إلا إلى ثلاثة مساجد ... » .

وهذه عبارة نبوية بليغة صريحة واضحة في موضوع الرحلة إلى المساجد ، وفي أن المساجد التي تستحق أن تشدّ الرحال إليها هي المساجد الثلاثة فقط ، وأن ما سواها من مساجد الأرض كلّها لا يوجد فيها مزيد ثواب ، بل كلها في الثواب سواء ، بخلاف المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى فإنَّ الثواب فيها يتضاعف ، ويزيد كما بينه الرسول الأمين ﷺ في حديثه الشريف .

أبو حميد : جزاكم الله خيراً ، جزاكم الله خيراً ، لقد بينتم ، فأشفيتم .

الشيخ : (يتابع كلامه)يا ولدي إذا علمنا ظاهر الحديث وباطنه

في أسلوبه العربي المبين فلماذا يقحم ذكر زيارة قبر الرسول في هذا الحديث الذي لا يتعرض لغير هذا الموضوع ـ موضوع الرحلة إلى المساجد الثلاثة ... ولا علاقة له بالقبر الكريم لا من قريب ولا من بعيد ، لا بالتصريح ولا بالتلميح ؟

ولماذا يستدل بعض الذين يمنعون زيارة قبر الرسول ﷺ بهذا الحديث المنصوص على شد الرحال إلى المساجد الثلاثة طلباً لمزيد الثواب ؟ فمن حمّل الحديث الشريف المذكور غير هذا المعنى ـ معنى الرحلة إلى المساجد الثلاثة ـ وأقحم فيه معاني أخرى غريبة عنه مثل زيارة قبر الرسول التي لا علاقة للحديث بها ، مَنْ حمّله ذلك فقد أخطأ في فهم الحديث ، وحمّله ما لا يحتمل ، وذهب إلى خلاف ما فهمه علماء أهل السنة والجماعة من الحديث الشريف .

أبو حميد : فهمت من فضيلتكم أن الحديث ...

الشيخ : استمع يا ولدي ، إن الحديث ـ كما قلنا ـ لا يقوم دليلاً على منع زيارة قبر الرسول ﷺ ، فالأولى بالمانعين أن يرجعوا عن رأيهم ، والرجوع عن الخطأ فضيلة ، وسمة الصالحين الباحثين عن الحقيقة . أو أن يبحثوا عن دليل آخر ، ويأتوا به إن كان هناك في الكتاب أو السنة دليل على منع زيارة القبور ، ولا سيّما قبر الرسول ﷺ .

أبو حميد : كثّر الله من أمثالكم يا شيخنا ، لقد أشفيت الغليل وأبطلت بحقٍ ذلك الدليل الذي كان يتمسك به مانعو زيارة قبر الرسول ﷺ ، وبه يلوّحون ، ولا يدرون أنه حديث بعيد وغريب منطوقاً ومفهوماً عن موضوع زيارة قبر الرسول ﷺ .

زيد : سيدي يقول بعض العلماء :

إن جملة : (لا تشد الرحال ...) الواردة في الحديث الشريف بصيغة المجهول نفيٌ بمعنى النهي المقتضي للتحريم ...

الشيخ : ولدي ، لا نصرف الكلام عن ظاهره إلا عند الضرورة والتعارض بين النصوص ، فأين الضرورة والتعارض هنا ؟

هل هناك نص يعارض هذا النص ؟

إنه أسلوب نفي محض ، وإخبار ينبىء عن فضل السفر إلى هذه المساجد الثلاثة للصلاة فيها ، وقد قدمنا لكم ، أنّ السفر إلى مساجد الأرض أمْر مباح ، ليس في الرحلة إليها مزيد ثواب ولا عقاب ، فلا داعي للتأويل ، ولا حاجة إلى التهويل ...

وهب أنّ الجملة الكريمة (لا تشدّ الرحال) نفيٌ يراد منها النهي ، فما لهم يربطون هذا الحديث الشريف – بما يحمله من نفي أو نهي – بزيارة قبر الرسول ﷺ ؟

دع عنك هذا يا أبا حميد ... !!

وستأتي في سياق الحديث روايتان مجردتان عن أدوات النفي أو النهي بصياغة الإخبار المحض ... فاصطبر ...

أبو حميد : سيدي علمنا حكم الرحلة إلى المساجد الثلاثة ، وأنها سنة من سنن الإسلام ، فما حكم الرحلة لزيارة القبور بما فيها زيارة قبر الرسول ﷺ ؟ .

الشيخ : أما زيارة القبور – قريبة أو بعيدة – فسنة من سنن الإسلام يا بني ، يقول رسول الله ﷺ : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » رواه مسلم .

وفي رواية : « فمن أراد أن يزور القبور فليزرها فإنها تذكّر بالآخرة » .

وهذا الحديث بروايتيه صريحٌ في جواز زيارة قبر الرسول ﷺ وغيره من القبور ، وحضّ وترغيب فيها . فزيارة القبور سنة من سنن الإسلام ، فيها العظة والاعتبار ، والتذكير بالآخرة والتأمل في مصير الإنسان ، وتقصير الأمل ...

وهذه معانٍ نبيلة في الإسلام يدعو إليها بوسائله المشروعة كزيارة القبور ، والسير في الأرض للاطلاع على مصائر الأمم البائدة وآثارهم الباقية التي تنادي بلسان حالها : « هذه مصائر الغابرين ، ومآل الهالكين فاعتبروا يا أولي الأبصار » .

فزيارة قبر الرسول ﷺ تعبىء نفوس الزائرين بالعظة البالغة والتأثر العميق ... وتنوير وتبصير للمآل والمصير ...

إذا كان خير خلقه ﷺ قد مات وهو رسول كريم فمن ينجو من الموت .

ولو كانت الدنيا تدومُ لواحدٍ
لكان رسول الله فيها مخلَّدا

أبو حميد : (ابتسامة ساخرة) فأين يذهب المانعون .. ؟ وأين الدليل على ما يدعون ... ؟ .

الشيخ : كفّ ... كفّ ... يا أبا حميد ، نحن نريد إظهار الحق ، وبيان الحقيقة المرادة من الحديث الشريف المذكور ، لا نريد التشفي ... ولا التعريض بالمؤمنين الذين اجتهدوا فأخطؤوا ولهم أجرهم إن شاء الله ، فإنهم أخوة لنا صادقون في مقصدهم ، جادّون في ردّهم عن هذا الدين ما ليس منه فهم مأجورون إن شاء الله غير مأزورين[1] .

أبو حميد : طبتم يا أستاذ ، وطاب شرحكم ، وطال عمركم محفوفاً بالنصح والعلم والإرشاد ...

---

(١) القاعدة تقتضي أن تكتب (مَوْزُوْرِينَ) ولكن الرسول ﷺ قال : (ارجعن مأزورات غير مأجورات) للازدواج ، ولو أفرد لقيل : مَوْزورين مثل موعودين .

الشيخ : (يترك زيداً وأبا حميد ، وينصرف إلى كتاب بين يديه يطالعه)

« مع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه (مجموعة الفتاوى) » .

أبو حميد : هل راجعت يا زيد ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في هذا الموضوع – موضوع زيارة قبر الرسول ﷺ – .

زيد : لم أراجع حتى الآن ، وأودّ أن أطلع على رأيه في مسألة زيارة قبر الرسول ، لأنه رحمه الله حينما يتناول المسألة لا يتركها إلا ويشبعها بحثاً وتحقيقاً ، وهو هو في قوة حجته وشدة ذكائه ، ولأني أعتقد أنه لو وجد دليل على منع زيارة قبر الرسول ﷺ غير ما يستشهد به المانعون من الحديث المشهور « لا تشدّ الرحال ... إلخ » لأتى به ، فأنا عازم على مراجعة الكتاب ، وقد يكون قريباً .

أبو حميد : ما يمنعك – يا أخي – أن تبحث الآن عن رأيه في كتابه « مجموعة الفتاوى » وهو في متناول يدك ؟ (وكان الكتاب في خزانة الشيخ) .

زيد : هيّا (يتناول الكتاب ، ويقلب صفحاته) لقد وجدته ، وجدت الموضوع في الصفحة العشرين من الجزء السابع من الكتاب .

أبو حميد : هات الكتاب لأقرأه عليك ، وأُريْحَك من عناء القراءة .

زيـد : (يناوله مجموعة الفتاوى) تفضل ...

أبو حميد : (يقرأ الكتاب) : « وأما السفر إلى مجرد زيارة قبر الخليل أو غيره من مقابر الأنبياء والصالحين ، ومشاهدهم وآثارهم فلم يستحبه أحد من أئمة المسلمين ... » .
هذا رأيه في شد الرحال إلى زيارة قبر الرسول ﷺ .

زيـد : يا أبا حميد إنه رحمه الله لم يأت بشيء لأنا بصدد المنع والنهي والتحريم بالدليل وقوله : « ... فلم يستحبه أحد من أئمة المسلمين ... » يفيد عدم الاستحباب ، وعدم الاستحباب لا يفيد الحرمة والمنع والنهي ، وهو دعوى دون دليل ، ونحن بصدد البحث عن الدليل عنده .

أبو حميد : صحيح ، إنه لم يأت بالدليل ، وهل لك يا أخي أن توضح لي قوله : « فلم يستحبه أحد من أئمة المسلمين » بالمثل ، والمسألة تتضح بالأمثال .

زيـد : نعم ذلك كأكل البصل والثوم ، فإنّه مكروه وغير مستحب ومع ذلك غير محرم ، فليس كلُّ غير مستحب محرماً .

أبو حميد : جيد هذا ، وفهمت ولنتابع البحث عن الدليل عنده لعلّه يأتي به .

زيـد : طيب ... الكتاب بين يديك ، فتابع قراءة البحث .

أبو حميد : (يقرأ قوله من الكتاب) : « ـ ولهذا لا يجب بالنذر السفرُ إلى غير المساجد الثلاثة ، لأنه ليس بطاعة لقول

النبي ﷺ لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ... فمنع من السفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة ، فغير المساجد أولى بالمنع ... » .

أرى ـ يا زيد ـ أن الشيخ رحمه الله قد وفق إلى دليل المنع ... بحيث استطاع أن يجعل من هذا الحديث (لا تشد الرحال ...) دليلاً على منع زيارة قبر الرسول ﷺ ، أليس كذلك ؟ زيد ـ يا حبيبي يا روحي من قال لك بأنَّ الشيخ رحمه الله قد وفّق في الإتيان بالدليل بهذه العبارة التي سبكها وأتقن السبك والتفريغ ... ؟

يا أبا حميد إنَّ الشيخ رحمه الله ـ حرصاً منه على منع تعلق المسلمين بغير الله سبحانه وتعالى على منع تسرب الشركيات إليهم ذهب هذا المذهب ، فبحث هنا وهناك ...

فجاء بحديث ... (لا تشد الرحال إلَّا إلى ثلاثة مساجد) ... دليلاً على منع زيارة قبر النبي ﷺ بالرغم من أنه لا حجة فيه ، كما سبق لنا أن ذكرنا في أول هذا البحث فيريد بقوة قلمه ونفاذ ذكائه أن يربط بين المنع وبين الحديث ، ويجعله دليلاً عليه ...

أبو حميد : طيب ، ماذا تقول أنت فيما كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ؟ .

زيد : لقد تمادينا في الحديث في حضرة مولانا الشيخ عبيد ... !

اترك الكلام الآن لمولاي .

الشيخ عبيد: (ينصرف بوجهه إليهما) ، إن في عبارة شيخ الإسلام رحمه الله تعميماً لا دقة فيها ...

أبو حميد : كيف ؟ أوضح لي ذلك رحمك الله .

الشيخ : ولدي إنّ عبارته : (... لا يجب بالنذر السفرُ إلى غير المساجد لأنه ليس بطاعة ...) تفيد — مما تفيد — أن زيارة القبور مطلقاً ليست بطاعة ، لأنها داخلة في مضمون قوله (غير المساجد) لأن القبور وزيارتها غير المساجد .

أبو حميد : هو كذلك ، إن العبارة المذكورة تفيد ذلك قطعاً .

الشيخ : فهل صحيح أن ما أمر به الرسول ﷺ ليس بطاعة .

أبو حميد : كيف يا سيدي ؟ إن أمره طاعة وعبادة ، وهل الطاعة إلا أمر الرسول ﷺ ؟

وهل يأمر الرسول إلا بالطاعة ... ؟

لا ينكر هذا مسلم ، ولكن هل زيارة القبور مما أمر به الرسول ﷺ ؟ .

الشيخ : استمع يا أبا حميد ، استمع ... جاء في كتاب (رياض الصالحين) للنووي رحمه الله : عن بريدة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » رواه مسلم .

وفي رواية : « فمن أراد أن يزور القبور فليزرها ، فإنها

تذكر بالآخرة » .

أبو حميد : كفى ... كفى ... يا مولانا ، وهل يقف أمام هذا الأمر النبوي قول كائن من كان ... ؟ لا ... لا ... فزيارة القبور طاعة ، ومن سنة الإسلام .

الشيخ : شيء آخر لا بد من ذكره ، هو أن الشيخ ابن تيمية رحمه الله يتكىء في منع الرحلة إلى القبر الكريم على حديث : « لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ... » .

وقد أسهبنا سابقاً القول في المعنى المقصود من هذا الحديث ، وقلنا إنه إخبار بنفي الفضيلة عن غير المساجد الثلاثة ، لأن غيرها متساوٍ في الرتبة ، غير متفاوت ، فالسفر إليها عبث وضائع لا فضيلة فيه ...

ويؤيد ما ذهبنا إليه روايةُ الزهري في « صحيح مسلم » أنه قال : « تشدّ الرحال إلى ثلاثة مساجد » هكذا دون أداة نفي وحصر ، وروايةُ أبي هريرة رضي الله عنه في « صحيح مسلم » يخبر أن رسول الله ﷺ قال : « إنما يُسافَرُ إلى ثلاثة مساجد مسجد الكعبة ومسجدي ومسجد إيلياء » دون أداة نفي أو نهي .

فهاتان الروايتان اللتان ذكرهما مسلم في « صحيحه » تدلّان على أن الحديث إخبار بنفي الفضيلة عن غير المساجد الثلاثة ، وليس المراد به النهي عن السفر والرحلة إلى غيرها .

وعلى كل حال ، لا علاقة لهذا الحديث بزيارة القبر النبوي الكريم ، ولا حجة على المنع في هذا الحديث ...

أبو حميد : دعني سيدي أتابع قراءة البحث فإنه لم يكتمل ... يقول في الصفحة ٢٦ من كتابه (مجموعة الفتاوى) الجزء السابع منه : « وأما إذا كان قصده بالسفر زيارة قبر النبي دون الصلاة في مسجده فهذه مسألة فيها خلاف ، فالذي عليه الأئمة وأكثر العلماء أن هذا غير مشروع ولا مأمور به » .

الشيخ : (يهز رأسه ...) هل هذه العبارة صحيحة ومسلّم بها ؟ .

ـ أليست زيارة القبور مطلقاً مأموراً بها ومشروعةً بصريح الحديث : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » فكيف يقول رحمه الله : « ... غير مشروع ولا مأمور به » ؟ .

أبو حميد : حقاً ، لم نجد لدى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله دليلاً آخر على منع زيارة قبر الرسول ، بل الدليل قائم على سنيتها حيث يقول الرسول ﷺ : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها » هكذا بصيغة الأمر (فزوروها) وهل قبر الرسول إلا قبر من القبور التي تذكر بالآخرة أيّما تذكير .

الشيخ : تابع ... تابع قراءة البحث ، ولنطلع على الخلاف المذكور

بين مانعي زيارة قبر الرسول ومجوزيها ...

أبو حميد : (يقرأ ...) « فالذي عليه أكثر الأئمة والعلماء أن هذا غير مشروع ولا مأمور به ، لقوله ﷺ : « لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجدي ، والمسجد الأقصى » هذا دليله ودليل المانعين يا سيدي .

الشيخ : لقد قلنا هذا ليس بشيء ، لأن هذا الدليل ليس بدليل ، ولا شأن له بموضوع زيارة القبر النبوي الكريم ، إنه رحمه الله استدل بالحديث المذكور ، فبنى عليه حرمة السفر إلى قبر الرسول ﷺ ، وجعلها معصية ، ليست بطاعة تابع .. تابع ...

أبو حميد : « بل صرح طائفة من العلماء كابن عقيل وغيره بأن المسافر لزيارة قبور الأنبياء عليهم السلام وغيرها لا يقصر الصلاة في هذا السفر ، لأنه معصية ، لكونه معتقداً أنه طاعة ، وليس بطاعة ، والتقرب إلى الله بما ليس بطاعة هو معصية ، ولأنه نهي عن ذلك ، والنهي يقتضي التحريم » انتهى كلام سيدي .

الشيخ : يا ولدي إن دعوى منع الزيارة تستند إلى دليل هش لا حجة فيه ، فإذا سقط الدليل سقط المدلول عليه فأين النهي ؟ وأين التحريم ؟ .

أبو حميد : أرى المانعين ـ يا سيدي ـ يدندنون حول هذا

الحديث الشريف فقط .. !! .

الشيخ : أبا حميد هل يصح أن نقول إن ما أمر به الرسول معصية ليست بطاعة ؟ فحكم ابن عقيل وغيره من المانعين حكم لا يستند إلى دليل .. ونحن نبحث عن الدليل ، اقرأ ... اقرأ ما كتبه بصدد الجواز .

أبو حميد : ذكر سيدي من المجوزين حجة الإسلام الإمام الغزالي وأبا الحسن ابن عبدوس ، وأبا محمد المقدسي ، فهم يستدلون على الجواز بعموم قوله ﷺ : « ... فزوروها » .

الشيخ : هذا عين الصواب ، فالزيارة سنة من سنن الإسلام .

أبو حميد : فهل لدى فضيلتكم مزيد من الدليل على زيارة قبر الرسول ﷺ ؟ .

الشيخ : نعم ، استمع ما جاء في زيارة القبور ، وقبر الرسول من القبور :

١ ــ عن بريدة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فقد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه ، فزوروها ، فإنها تذكر بالآخرة » رواه الترمذي ، وصححه .

٢ ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

« زار النبي ﷺ قبر أمه ، فبكى وأبكى من حوله ، فقال : استأذنت ربي أن أستغفر لها فلم يأذن لي ،

واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي ، فزوروا القبور ، فإنها تذكر الموت » رواه الجماعة .

٣ ـ عن عبد الله بن أبي مليكة رضي الله عنه :

« أن عائشة أقبلت ذات يوم من المقابر ، فقلت لها يا أم المؤمنين من أين أقبلت ؟

قالت : من قبر أخي عبد الرحمن ، فقلت لها : أليس كان نهى رسول الله ﷺ عن زيارة القبور قالت : كان نهى عن زيارة القبور ، ثم أمر بزيارتها » رواه الأثرم في « سننه ».

٤ ـ عن عائشة رضي الله عنها قال :

« كيف أقول يا رسول الله إذا زرت القبور ؟ قال : قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين ... » رواه مسلم .

٥ ـ روى الحاكم : « أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ كانت تزور قبر عمها[1] حمزة كل جمعة ، فتصلي وتبكي عنده » .

٦ ـ وكان رسول الله ﷺ يزور مقابر البقيع ، وشهداء أحد .

هذه الأحاديث فيها مشروعية زيارة القبور ومنها قبر الرسول ﷺ .

أبو حميد : صح لدينا أن زيارة القبور عامة من سنة الإسلام ومشروع

(١) لأنه أخو رسول الله ﷺ من الرضاع .

ومأمور به ، ولا يوجد دليل بالمنع بتاتاً . أليس كذلك يا مولانا الشيخ ؟ .

الشيخ : هو كذلك ، ولا يوجد استثناء من الكتاب أو السنة لزيارة قبر الرسول الكريم من حكم زيارة القبور عامة و لم نجد عند شيخ الإسلام ابن تيمية من خلال البحث شيئاً من الأدلة للمنع سوى هذا الحديث الشريف : « لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ... » الذي يلوون عنقه ، ويربطون بينه وبين زيارة القبر الكريم ربطاً هشّاً غير محكم تفكه لمسة من تحقيق ، أو لفتة من تفكير ... والذي يجعله دليلاً على المنع مثله كمثل من يقول :

لا يجوز أن تشدّ الرحال إلى زيارة الأقارب مثلاً ، لحديث : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ... » .

من يقول بهذا ... ؟ !! .

أبو حميد : سيدي الشيخ قال لي قائلهم :

إنكم حشدتم هذا الجمع من الأحاديث التي تدل على مشروعية زيارة القبور ، وتجشمتم هذا العناء ... وأقمتم السدود ... فعلتم كل ذلك للتدليل على جواز زيارة القبور التي لا يختلف فيها إثنان ، ولا تنتطح فيها عنزتان .

أما المحرم منها فهو شد الرحال إليها ، وما ذكرتم من الأحاديث لا تدل على شد الرحال لزيارتها .

الشيخ : ولدي نحن بصدد دلالة هذا الحديث بالذات على منع

زيارة قبر الرسول أو عدم الدلالة .

وقد شرحنا الحديث في أول البحث بما فيه الكفاية ، وقلنا إنه لا يدل على المنع ، ولا حجة فيه .

هذه واحدة .

أما الثانية فهي أن الأحاديث التي تدعو إلى زيارة القبور مطلقة ، مجملة لا تفصيل فيها ، تحتمل الوجهين التاليين :

١ ـ زيارة القبور القريبة التي لا عناء فيها ولا سفر .

٢ ـ وزيارة القبور البعيدة التي لا يمكن زيارتها دون شد الرحال إليها .

فهل هناك ما يدلّ على صرف هذه الأحاديث عن الاحتمال الثاني ؟

إذاً الأحاديث التي تندبنا إلى زيارة القبور ، سواء القريبة منها أو البعيدة ـ دلائل شرعية لزيارة القبور سواء بالرحلة إليها أو دون الرحلة ...

أبو حميد : جزاكم الله خيراً ، جزاكم الله خيراً يا أستاذ على هذا البيان .

الشيخ : أخي ، العلم أمانة الله عند عباده ، قد أخذ عليهم الميثاق لبيانه ... نسأل الله تعالى الإخلاص والقبول ...

أبو حميد : مولانا الشيخ ، نعلم أن الحرص على مبادىء الإسلام ونقاوتها وطهارتها من الجاهليات ، والبدع واجب كل مسلم ، ومقصد شرعي نبيل ، وتعلمون ـ فضيلتكم ـ أن النبي ﷺ قد حضّ المسلمين على أن

يتصدوا الكل تحريف وتضليل وابتداع وانحراف عن الجادة وهدي الإسلام فقال :

« أنت ثغرة من ثغر الإسلام ، فلا يؤتين من قبلك »

والمانعون رحمهم الله حرصاً منهم على الدين وحفظه من الشركيات ذهبوا هذا المذهب الوعر ...

الشيخ : نعم – يا ولدي بارك الله فيك – أنت حارس وأنا حارس وهو حارس ، الكل حراس لهذا الدين ، نحافظ على صورته المأثورة ، ونحرسه عن أن يدخل فيه أي زيغ أو ضلال أو دسيسة .

أبو حميد : أقول ...

الشيخ : نعم ... نعم ... إن ما قررته صحيح ، ومن صميم الدين ، ولكن هل يجوز – يا ولدي – أن يؤدي بنا الحرص على الدين إلى أن نخرم من الدين شيئاً مقرراً مسنوناً ؟ .

أبو حميد : كيف ... ؟ وهل هناك من يزيد في شرع الله أو ينقص ؟ .

الشيخ : دعني أسألك ثانية ، هل يجوز لنا أن ننكر أمراً مقرراً من الدين ، وسنة من سنن الإسلام خوفاً من جهل بعض المسلمين كيفية أدائه ... ؟

كمن ينكر على الناس الصلاة مثلاً ، وينهاهم عنها خوفاً من جهل بعض المسلمين ، وخرمهم الصورة الصحيحة

للصلاة هل يجوز ذلك يا أبا حميد ؟ .

أبو حميد : معاذ الله يا مولانا ... !!
إنه جهل ... وجرأة على الدين ، ما أتى بها أحد من العالمين .

الشيخ : أقول : حرصاً من المانعين ، وابن تيمية رحمه الله منهم على أن لا يقع زوار قبر الرسول في الشرك ، والاستمداد منه والاستغاثة به ، والاعتقاد بأنه ﷺ قادر على قضاء حوائجهم ، كما يفعله الجهلة من المسلمين ، وسدّاً لباب الفتنة - ذهبوا صادقين يبحثون عن دليل لمنع زيارة القبر النبوي الكريم ، فلم يجدوا دليلاً لا من الكتاب ولا من السنة ، فلجؤوا إلى هذا الحديث الشريف : « لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ... » وجروه من عنقه لينطقوه بالمنع ، والحديث الشريف يصرخ ... ويأبى أن يدلّ على منع زيارة القبر الكريم لا تصريحاً ولا تلميحاً ، وحسبوا أنهم جاؤوا بدليل ، وأنى لهم أن يأتوا بدليل يمنع أمراً مسنوناً دعى إليه الرسول ﷺ ، وندب أمته إليه ، فقال : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها » رواه مسلم .

أبو حميد : وأيم الله يا مولانا إن ما تفضلتم به هو الصحيح الواضح المفهوم ، وأنتم - بحمد الله فيما أرى - منصف في شرحكم للموضوع .

فما الطريقة – في رأي فضيلتكم – لمنع البدع التي قد تحدث عند زيارة القبور ، لا سيما قبر الرسول ﷺ ؟ .

الشيخ : الطريقة – يا ولدي – هي أن يشرح الدعاة العلماء للمسلمين كيفية الزيارة للقبر الكريم ، ويعلّموا الناس الطريقة المأذون بها في الشرع .

كالذي يسيء لصلاته ، لا نقول له : لا تصلّ ، بل نقول له صلّ هكذا ، ونعلمه الكيفية المأثورة من رسول الله ﷺ ، كما فعل الرسول ﷺ نفسه مع المسيىء صلاته ، لم ينهه عن الصلاة ، بل علّمه الصلاة الصحيحة .

فالأجدر بالمانعين أن يحافظوا على سلامة المبدأ – مبدأ زيارة القبر النبوي الكريم – لا أن يمنعوه ، وينهوا عنه ، فينطبق عليهم المثل العربي السائر :

« ما هكذا يا سعد تورد الإبل » .

أبو حميد : ولكن يا مولانا كيف ذهب مثل شيخ الإسلام ابن تيمية – وهو من هو في نفاذ ذكائه وثاقب فكره وقوة عقله – هذا المذهب ... وتعسف هذا التعسف ؟ .

الشيخ : ولدي يقول الرسول ﷺ :

« كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون »

أما تعلم أن للإمام الشافعي مذهبين ، مذهب قديم ، ومذهب جديد ... ؟ .

أبو حميد : بلى ...

الشيخ : هل هما شيء واحد أم مذهبان مختلفان ؟ .

أبو حميد : لا شك أنهما مذهبان مختلفان .

الشيخ : يعني هذا أن الإمام رحمه الله رأى رأياً في الدين حسب اجتهاده ، واستنباطه ، وفهمه النصوص . ثم بدا له من النصوص رأي آخر يختلف عن الرأي الأول ، فأعلن عن رأيه الجديد بجرأة وصراحة وقوة وشجاعة وخطّأ رأيه القديم ...

أبو حميد : نعم ... نعم ... هؤلاء هم الرجال ، هم أساطين العلم والإيمان ، ذلّلوا أهوائهم ، وكسروا الحواجز بينهم وبين الحق ، فأصبحوا وجهاً لوجه مع الحق وغدوا جنوده وحراسه .

يدورون مع الحق حيث دار ، لا الأهواء تحجزهم ولا اللذات تحولهم ... فالحق رائدهم ، ودين الله غايتهم ، يجتهدون ... ويجتهدون ... لشرح النصوص ... وعرضها على عباد الله الذين كانوا يرنون إليهم بإكبار وإجلال وثقة واطمئنان ، لأنهم حملة العلم وحفاظ الرسالة وخدمة الدين أليس الإمام مالك رضي الله عنه هو الذي يقول بكل صراحة وجرأة للسائل : لا أدري ، فيما لا يعلمه رضي الله عنهم أجمعين .

لقد نهجوا نهج النبوة ، ومهدوا لمن بعدهم الطريق وبينوا

للناس ما في رسالة الرسول ﷺ من أحكام ...

الشيخ : ولدي ... ولدي ... أبا حميد ما بك ... ؟ ما بك ... ؟ لماذا تستطرد هذا الاستطراد ، وتشرد عن الموضوع هذا الشرود ؟

نحن بصدد أن الإنسان مهما بلغ في درجة العلم ما بلغ ... فهو ناقص ... معرض للخطأ ، لأنه مخلوق لم يكتب له الكمال ، والكمال لله وحده .

كالإمام الشافعي رضي الله عنه فقد تبين له خطأ مذهبه القديم ، فأعلن عنه ، وقال في المسألة نفسها قولاً جديداً ، فاعتمده ، وطرح ما قاله فيها قديماً . فإذا كان هذا الإمام العظيم يخطىء في مسائل لا في مسألة واحدة ، فمن شيخ الإسلام ابن تيمية بجانب الإمام الشافعي رحمهما الله ؟ .

أبو حميد : عفوك يا مولانا ، لقد كان في نفسي تجاه هؤلاء الأعلام من التقدير الكبير والإجلال الوفير ما دفعني هذه الدفعة ... وشردت به هذا الشرود ... ! أجل فهمت ما شرحتم ... وعرفت ما بينتم ...

فأشكر لفضيلتكم ما تجشمتم في سبيل الله من بيان حكم من أحكام هذا الدين ، وشرح حديث رسول الله الأمين ... وبارك الله فيكم يا شيخنا ، لقد أدّيتم ما للعلم عندكم من أمانة البيان .

الشيخ : الفضل لأخيك زيد الذي أرشدك ... ونوّرك وبصّرك ... .

أبو حميد : أما أخي زيد فلله دره .. ! ما أكرم صحبته وأبركها ، وما أحسن أخوته وأخلصها ، لقد رفعتني إلى أفق جديدة من الحياة ، والفكر الواسع الهادىء الرزين ... إنِّي الآن أقدّر لذوي العلم قدرهم ، ولا أستهين بالرأي المخالف ... ولا أستهجن للإنسان رأيه حتى أطلع على وجهة نظره ، وأتباحث معه في جوّ رحيم من الأخوة ، لكي نصل معاً إلى الحق والحقيقة والدليل ...

ووقر في نفسي حب العلماء الأعلام الذين أمضوا أعمارهم في سبيل بيان أحكام هذا الدين ، وبينوها للعالمين .

أعود فأقول :

جزاكم الله عنا خير الجزاء ، أرجو من فضيلتكم أن تكرمونا بمعيتكم بزيارة قبر الرسول ﷺ ، ومسجده يوماً .

الشيخ : لا بأس ، فلتكن غداً إن شاء الله تعالى ، تجهزا على بركة الله .

زيد : (وكان في صمت مطبق ، مستغرقاً في حديث الشيخ وبيانه الشافي الكافي ، فتنبه على قول الشيخ :

« ... تجهزا على بركة الله » :

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات ، فستكون زيارتنا قبر الرسول الكريم ﷺ زيارةً مباركة إن شاء الله تعالى ، نسأله تعالى أن يرزقنا والمسلمين زيارات ، وزيارات ، وزيارات ...



الباب الثاني

كيفية زيارة قبر الرسول الكريم ﷺ الشرعية

أبو حميد : أخي لقد علمتُ ـ بحمد الله ـ أن زيارة قبر الرسول ﷺ سنة من سنن الإسلام المقررة لتذكيرها بالموت والدار الآخرة ... بيد أني أجهل كيفية زيارة قبره ﷺ على الوجه الشرعي . فهل لكم أن تعلّموني مشكورين يا صاحبي ؟ .

زيـد : رحمك الله تسألني عن كيفية الزيارة المشروعة بحضرة مولانا الشيخ عبيد ... ! وهل يجوز لك التيمم وأنت على حافة البحر ؟ يقول تعالى : ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ [النحل : ٤٣] عليك بأهل الذكر ، اسأل مولانا الشيخ ، تجد الجواب الكافي الشافي عنده إن شاء الله تعالى .

أبو حميد : « يتوجه إلى الشيخ عبيد الذي كان قد انصرف إلى تلاوة كتاب الله » : سيدي كيف أزور قبر رسول الله ﷺ ؟ أرجو أن تدلّني على الطريقة المشروعة لزيارة قبره ﷺ كيما أتجنب المحظورات في مثل هذا المقام الكريم .

الشيخ : اجلس اجلس زادك الله حرصاً على العلم ، لأسرد عليك ما جاء في آداب زيارة قبره ﷺ مما كتبه علماؤنا ، قال النووي في « إيضاحه » في مناسك الحج في الباب السادس في زيارة قبر الرسول ﷺ يستحب للزائر ـ إذا توجه

لزيارته ﷺ ـ أن يكثر من الصلاة والتسليم عليه في طريقه ، ويسأل الله تعالى أن ينفعه بزيارته وأن يتقبلها منه .

وأن يغتسل قبل دخوله المدينة .

ويلبس أنظف ثيابه .

ويتطيب ...

ويستحضر في قلبه حينئذ شرف المدينة التي شَرُفَتْ به ﷺ ، وأنها مهبط الوحي الإلهيّ ، وأنها مدينة رسول رب العالمين ، الذي هو خير الخلائق أجمعين ، مستشعراً لعظمته ، ممتلىء القلب من هيبته كأنه يراه[1] .

أبو حميد : جدير بذلك سيدي رسول الله ﷺ فداه أبي وأمي ...

الشيخ : إذا وصل إلى باب مسجده ﷺ فليقل الدعاء المأثور : « اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد اللّهم افتح لي أبواب رحمتك »[1] .

ويدخل مقدِّماً رجلَه اليمنى ، قائلاً : « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » .

---

(١) كتاب الإيضاح في مناسك الحج للنووي ـ باب زيارة قبر سيدنا محمد رسول الله ﷺ .

(٢) المنتقى المختار من كتاب الأذكار للشيخ الصابوني ـ الصفحة ٣٢ .

ثم يقصد الروضة الشريفة ، ليصلي فيها – إن أمكن – تحية المسجد . لما رواه مالك عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال :

« قدمت من سفرٍ ، فجئت رسول الله ﷺ وهو بفناء المسجدِ ، فقال أدخلت المسجد فصليت فيه ؟ .

فقلت : لا .

قال : فاذهب فادخل المسجد ، فصل فيه ، ثم ائتِ فسلّم عليّ »[1] .

أبو حميد : إذاً يقول الزائر : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته إلخ قبل أن يصل إلى القبر النبوي الكريم .

الشيخ : نعم ... نعم هذا هو التوجيه النبوي الكريم ، كما جاء في حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنه المذكور .

وبعد أداء تحية المسجد يشكر الله سبحانه وتعالى على هذه النعمة ، ويسأله تعالى إتمامَ قصده ، وقبولَ زيارته ، ثم يأتي القبر الكريم .

أبو حميد : كيف يقف و ... ؟ .

الشيخ : (يتابع كلامه) فيستدبر القبلة ، ويستقبل جدار القبر

(١) كتاب شرح الإيضاح لابن حجر الهيتمي الصفحة ٤٩٢ ط المكتبة السلفية بمكة المكرمة .

الشريف بعيداً عن رأس القبر نحو أربعة أذرع ، ناظراً إلى أسفل ما يستقبله من جدار القبر ، غاض[1] الطرف في مقام الهيبة والإجلال ، فارغَ القلب من علائق الدنيا ، مستحضراً في قلبه جلالَ موقفه ، ومنزلةَ من هو بحضرته ، ثم يسلّم ، ولا يرفع صوته ، بل يقتصد فيقول : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا نبي الله ، السلام عليك يا خيرة الله ، السلام عليك يا خير خلق الله ، السلام عليك يا حبيب الله ، السلام عليك يا نذير ، السلام عليك يا بشير ، السلام عليك يا طهر ، السلام عليك يا طاهر ، السلام عليك يا نبي الرحمة ، السلام عليك يا نبي الأمّة ، السلام عليك يا أبا القاسم ، السلام عليك يا رسول رب العالمين ، السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيين ، السلام عليك يا خير الخلائق أجمعين ، السلام عليك يا قائد الغر المحجلين ، السلام عليك وعلى آلك وعلى أهل بيتك وأزواجك وذرّيتك وأصحابك أجمعين ، السلام عليك وعلى سائر الأنبياء وجميع عباد الله الصالحين ، جزاك الله يا رسول الله عنا أفضل ما جزَى نبياً ورسولاً عن أمته ، وصلى الله عليك

(١) لكي لا تشغله الزينة والزخرفة .

كلما ذكرك ذاكر ، وغفل عن ذكرك غافل أفضل وأكمل وأطيب ما صلى على أحدٍ من الخلق أجمعين .

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنك عبده ورسوله وخيرته من خلقه ، وأشهد أنك قد بلّغت الرسالة ، وأدّيت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وجاهدت في الله حق جهاده ، اللّهم وآته الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، وآته نهاية ما ينبغي أن يسأله السائلون ، اللّهم صلِّ على محمد عبدك ورسولك النبي الأميّ ، وعلى آل محمد وأزواجه وذريته ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد النبيّ الأمي ، وعلى آل محمد وأزواجه وذريته ، كما باركت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم في العالمين إنّك حميد مجيد .

أبو حميد : هذه الصيغ المذكورة مستحدثة غير واردة فـ ...

زيـد : يقول الطبري يا سيدي في هذا المقام : الاتباع أولى من الابتداع ولو كان حسناً ، واستدل بقول الحليمي : لولا قال رسول الله ﷺ : « لا تطروني » لوجدنا فيما نثني عليه ما تكل الألسن عن بلوغ مداه ، لكن اجتناب نهيه خصوصاً بحضرته أولى ، فليعدل الزائر عن التوسع

في ذلك إلى الدعاء له ، والصلاة والسلام عليه[1] .

الشيخ : يا ولدي إن النهي الوارد عن الإطراء إنما هو نهي عن الإطراء المشابه لإطراء النصارى عيسى عليه السلام من دعوى الألوهية ونحوها لا النهي عن مطلق الإطراء .
فالأولى ما قال الإمام النووي رحمه الله ما دام القلب حاضراً غير غافل .

أبو حميد : سيدي إن عجزت عن حفظ هذا السلام المذكور ، أو ضاق وقتي عنه ، وأردت أن أسلّم على رسول الله ﷺ ، فما هو أقل السلام المأثور ؟ .

الشيخ : أقله السلام عليك يا رسول الله ، فكان ابن عمر رضي الله عنه يقول : « السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتاه » أما الإمام مالك فكان يقول : « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته »[2] .

أبو حميد : وكيف أسلّم على صاحبيه ؟ .

---

(١) كتاب شرح الإيضاح لابن حجر الهيتمي ص ٤٩٥ ط المكتبة السلفية بمكة المكرمة .
(٢) كتاب شرح الإيضاح لابن حجر الهيتمي ص ٤٩٦ ط المكتبة السلفية بمكة المكرمة .

الشيخ : تتأخر إلى صوب يمينك قدر ذراع لتسلّم على أبي بكر رضي الله عنه لأن رأسه عند منكب رسول الله ﷺ قائلاً :

السلام عليك يا أبا بكرٍ ، صفيّ رسول الله ﷺ ، وثانيه في الغار جزاك الله عن أمة نبيه محمد ﷺ خيراً .

ثم تتأخر إلى صوب يمينك قدر ذراع للسلام على عمر رضي الله عنه ، فتقول : السلام عليك يا عمر أعز الله بك الإسلام ، جزاك الله عن أمة محمد ﷺ خيراً .

أبو حميد : هل تنتهي زيارتي إن فعلت ذلك ... ؟ .

الشيخ : لا ... بل ترجع إلى موقفك الأول ، قبالة وجه رسول الله ﷺ ، وتتوسل به في حق نفسك ، وتستشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى .

أبو حميد : ثم ماذا ... ؟ .

الشيخ : ثم تستقبل القبلة في مكان لا تزاحم فيه الزائرين ، وتحمد الله تعالى وتمجده ، وتدعـو الله لنفسك بما أهمك ... ولوالديك ولمن تشاء من أقاربك وأشياخك وإخـوانك وسائر المسلمين ...

ثم تأتي الروضةَ فتكثر فيها الدعاء والصلاة ، فقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال :

« ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي »[1] فاحرص أن تدعو عند المنبر .

أبو حميد : ما معنى قوله ﷺ : « ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة » يا مولانا ؟ .

الشيخ : قيل : معناه أن العمل فيه يوصل إلى رياض الجنة ، وقيل غير ذلك ، ولكن الأولى ما قاله الإمام مالك رضي الله عنه وغيره من أنه سينقل[2] إلى الجنة ، وليس كسائر

---

(١) عدلت عن الرواية (ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ...) إلى رواية (ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة ...) لأن القبر لم يكن متعيناً ... فكيف تصح الرواية بذكر شيء لم يكن معهوداً لدى جميع الصحابة دون استثناء ... لأنهم اختلفوا في موضع دفن النبي ﷺ ، ولو كان متعيناً من قِبل النبي ﷺ لما اختلفوا فيه ، يقول الإمام عبد القاهر بن طاهر البغدادي في كتابه (الفرْق بين الفرق) في الصفحة ١٢ ط منشورات دار الآفاق الجديدة — بيروت : ثم اختلفوا (الضمير للمسلمين) بعد ذلك في موضع دفن النبي ﷺ فأراد أهل مكة رده إلى مكة ، لأنها مولده ومبعثه وقبلته وموضع نسله وبها قبر جده إسماعيل عليه الصلاة والسلام .
وأراد أهل المدينة دفنه بها ، لأنها دار هجرته ، ودار أنصاره ، وقال آخرون بنقله إلى أرض القدس ودفنه ببيت المقدس عند قبر جده إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام .
وزال هذا الخلاف بأن روى لهم أبو بكر الصديق عن النبي ﷺ : « إن الأنبياء يدفنون حيث يقبضون » فدفنوه في حجرته بالمدينة .

(٢) الضمير المستتر يعود إلى (ما) في قوله ﷺ : « ما بين منبري وبيتي » باعتبار لفظه .

الأرض يذهب ويفنى ، فلا حاجة إلى تأويل الحديث بل يبقى على ظاهره .

أبو حميد : مولانا ما معنى قوله ﷺ : « ومنبري على حوضي » ؟ .

الشيخ : معناه أن ملازمة الأعمال الصالحة عنده تورد الحوض ... وقد ذهب بعضهم إلى أنّ الله سبحانه وتعالى يعيده على حاله ، فينصبه على حوضه يوم القيامة . وهو أولى ، لأنّ الأصل بقاء اللفظ على ظاهره ما أمكن ...

أبو حميد : ماذا ينبغي يا مولانا للزائر بعد ذلك ... ؟ .

الشيخ : ينبغي له أن يصلي الصلوات كلها بمسجد رسول الله ﷺ مدة إقامته ، فإنّ الصلاة فيه بألف صلاة .

وينوي الاعتكاف فيه كلما دخله ...

وأن يخرج كل يوم إلى البقيع خصوصاً يوم الجمعة ، وليكن بعد السلام على رسول الله ﷺ ، وإلى قبور الشهداء بأحدٍ يوم الخميس . وأن يزور كل سبت مسجِدَ قباء ، ويصلي فيه ركعتين ناوياً التقرب بزيارته والصلاة فيه للحديث الصحيح عن أسيد بن ظهير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « صلاة في مسجد قباء كعمرة » سبحانك ... سبحانك ... ما أكرمك ؟ ما أرحمك ؟ صلاة في مسجد قباء كعمرة ؟ !!!

عمل يسير وأجر كبير ، اللهم لك سجدت ، وبك

آمنت ، ولك أسلمت ، مائدة الله سبحانه ممدودة تنتظر الآكلين ... !! .

زيـد : سيدي الشيخ سأل الأخ أبو حميد عن كيفية الزيارة المشروعة ، وقد فصلتموها تفصيلاً ، جزاكم الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء .

بقي أن نسأل فضيلتكم عن الشر المبتدع الذي يقترَفُ هناك عند القبر الشريف لكي نتجنبه . فما هي المحظورات ؟ أفيدنا رحمكم الله .

الشيخ : سؤال وجيه . حذار حذار يا بني عما يفعله بعض الجهلة من التجرد عن الملبوس كالإحرام بالحج والعمرة ، فإنه حرام يجب إنكاره ، ويعزرون عليه التعزير الشنيع ، حتى ينزجروا هم وأمثالُهم عن ارتكاب مثل هذه البدعة القبيحة .

أبو حميد : سيدي منهم من يطوف بقبر النبي الكريم !! .

الشيخ : (قد امتقع وجهه) : لا ... لا ... لا يجوز – يا أبا حميد – إنه منكر قبيح إيذاء للنبي ﷺ صاحب رسالة التوحيد ، وضلال مبين .

أبو حميد : سيدي منهم من يلصق بطنه وظهره بجدار القبر ، ويمسحه باليد ويقبله ...

الشيخ : يكره ذلك ، وخلاف الأدب مع رسول الله ﷺ ، بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضر في حياته ﷺ ،

ولدي إن ذلك من عادة النصارى ، كما يقول حجة الإسلام الإمام الغزالي في « إحيائه » .

زيـد : سيدي ومنهم من يتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بأكل التمر الصيحاني في الروضة . فهل لهذا أصل في السنة ؟ .

الشيخ : منكر ... منكر ... اخترع لذلك بعضُ الوضاعين حديثاً مفترى .. فعمل به الجهلة من المسلمين ... !!! .

يا ولدي لا تغتر بمخالفات العوام في ذلك وكثرتهم ، فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بأقوال العلماء ، ولا تلتفت إلى محدثات العوام وجهالاتهم ولقد أحسن السيد الجليل أبو علي الفُضَيْل بن عيّاض رحمه الله تعالى في قوله ما معناه : « اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين . وإياك وطرق الضلالة ، ولا تغتر بكثرة الهالكين » .

ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوِه أبلغْ في البركة فهو من جهالته وغفلته ، لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرعَ ، فكيف يبتغي الفضل في مخالفته[1] ... ؟ .

أبو حميد : مولاي الشيخ إن بعضهم ينزلون عن الرواحل عند رؤية المدينة أو حرمها فما حكم ذلك ؟ .

الشيخ : لا بأس به ، فإن وفد عبد القيس لما رأوه ﷺ نزلوا عن الرواحل ، ولم ينكر عليهم ذلك ، وتعظيم جهته ﷺ

---

(١) الإيضاح في مناسك الحج ص ٥٠٢ ط مكتبة السلفية بمكة المكرمة .

وحرمه المقدس بعد وفاته كهو[1] في حياته .

أبو حميد : سيدي هل هناك فرق بين المقيمين في المدينة المنورة وبين الغرباء ؟ .

الشيخ : الفرق في أيّ شيء بينهم ؟ .

أبو حميد : في زيارة القبر الشريف ...

الشيخ : قال الإمام مالك رحمه الله : أكره لأهل المدينة ـ كلما دخل أحدهم المسجد وخرج ـ الوقوف بالقبر الكريم ، وإنما ذلك للغرباء . نعم لا بأس لمن قدم من أهل المدينة من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف عند قبر النبي ﷺ ، فيصلي عليه ويسلّم ، ويدعو له ولأبي بكر وعمر ...

زيد : إن قول الإمام مالك رحمه الله ـ يا سيدي ـ في منتهى الذوق السليم والأدب الرفيع والفهم لمقاصد الدين ، ألم يقل رسول الله ﷺ : « لا تجعلوا قبري عيداً »[2] رواه أبو داود بإسناد حسن .

---

(١) لا يجوّز النحاة إدخال الكاف الجارة على الضمائر للاختصاصها بالأسماء الظاهرة ، إلا لضرورة الشعر ولا ضرورة هنا ، ولكن يبدو أن الفقهاء تجاوزوا القاعدة ، وأدخلوها على الضمير . لقد أدخلها الشارح على الضمير هنا كما ترون ... وأدخلها النووي رحمه الله على الضمير في منهاجه في الصفحة ٩٧ في « باب اختلاف المتبايعين » ط المكتبة التجارية بمصر فقال : (واختلاف ورثتهما كهما) .

(٢) كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ص ٢٤٥ ط المكتبة التجارية بمكة المكرمة لصاحبها مصطفى الباز مع شرحه فتح المجيد .

الشيخ : أجل يا ولدي ... ومن أولى منه بهذا الفقه في الدين ، وهو من هو إمام دار الهجرة بلا منازع ...
ومما أوصيك به – يا بني في هذا المقام الكريم – أن تلاحظ بقلبك مدة مقامك بالمدينة المنورة جلالتها ، وأنها البلدة التي اختارها الله تعالى لهجرة نبيه ، وإقامة دولة شريعته ، واستيطانه ومدفنه . وأن تستحضر تردده ﷺ فيها ومشيه في بقاعها وأنحائها ...

أبو حميد : عرفنا – جزاك الله خيراً – كيف ندخل المدينة ، وكيف نزور قبر ومسجد رسول الله ﷺ .
بقي لنا أن نعرف كيف نخرج من المدينة المنورة عند العودة إلى البلد . فهل هناك آداب نقوم بها ... ؟ .

الشيخ : قال النووي رحمه الله في « إيضاحه » في الباب السادس :
إذا أراد السفر من المدينة والرجوع إلى وطنه أو غيره استحب أن يودع المسجد بركعتين ، ويدعو بما أحب ، ثم يأتي القبر الكريم ويعيد نحو السلام والدعاء المذكورَيْن في ابتداء الزيارة ، ويضيف : اللّهم لا تجعل هذا آخر العهد بحرم رسولك سيدنا محمد ﷺ ويسّر لي العودة إلى الحرمين سبيلاً سهلة ، وارزقني العفو والعافية في الدنيا والآخرة ، وردنا سالمين غانمين .
ثم ينصرف تلقاء وجهته ...

زيـــد وأبو حميد : (معاً) جزاك الله عنا وعن المسلمين خيراً ، وكثر الله من أمثالكم من العلماء المرشدين ...

☆ ☆ ☆

فصل

« في معرفة الرسول ﷺ بزيارة الأحياء وسلامهم عليه »

أبو حميد : مولانا أثابكم الله على ما تفضلتم به من بيان كيفية زيارة قبر الرسول ﷺ ، وبيان المحاذير التي يقترفها جهلة المسلمين في ذلك المقام الكريم .
بيد أني أتشوف إلى معرفة الصلة بين الزائر وبين الرسول ﷺ وهو راقد في قبره الكريم .

الشيخ : يا ولدي إن الأنبياء في قبورهم أحياء ، روى البيهقي في كتاب « الأنبياء » من حديث أنس رضي الله عنه قال : « الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون »[1] وقد أخرج أبو داود بسند صحيح « ما من أحدٍ يسلّم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام »[2] .

أبو حميد : إذاً الرسول ﷺ يسمع تسليم الزوّار ... .

الشيخ : نعم ... لقد أخرج البخاري في « تاريخه » عن عمار قال :
سمعت النبي ﷺ يقول : « إن لله تعالى ملكاً أعطاه الله أسماع الخلائق قائماً على قبري ، فما من أحدٍ يصلّي عليّ

---

(١) صححه البيهقي في كتاب (حياة الأنبياء) ص ٤ .
(٢) الروح لابن القيم ص ٢٠ ط دار المدني .

صلاةً إلا بلغتها » وروى البيهقي أنه قال : « من صلّى علّي عند قبري سمعْته ، ومن صلى عليّ نائياً بلغته »[1] .

أبو حميد : إذا كان الأنبياء أحياءً في قبورهم كما جاء في حديث أنس رضي الله عنه المذكور الذي رواه البيهقي رحمه الله ، فهل يعلم الرسول ﷺ شيئاً من أحوال أهل الدنيا ... ؟ .

الشيخ : نعم يعلم ... لقد أخرج البزار في « مسنده » عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ، فإذا أنا متّ كانت وفاتي خيراً لكم ، تُعرَضُ عليّ أعمالكم ، فما وجدت من خير حمدت الله وإن وجدت شراً استغفرت الله لكم »[2] .

أبو حميد : سيدي علمنا أن رسول الله ﷺ يعلم ويسمع ، فهل يرى الزائر أيضاً ... ؟ .

الشيخ : نعم يا ولدي ، لقد روي أنَّ عائشة رضي الله عنها – بعد أن دفن عمر رضي الله عنه كانت تستتر ، وتقول : « كان أبي وزوجي ، فأما عمر فأجنبي »[3] تعني أنه يراها ... فتستتر ، ولم تكن تستتر قبل دفن عمر من أبيها

---

(١) جاء ذلك في كتاب التحذير من الاغترار ... للمؤلفين : عبد الحي العمروي وعبد الكريم مراد .

(٢) المصدر السابق .

(٣) كتاب التحذير من الاغترار ... ص ١١٢ .

وزوجها رسول الله ﷺ ، وإنْ كانا يريانها ... .

أبو حميد : سيدي إذا وقفنا ، وتوجهنا إلى الضريح الأنور ، وخاطبناه ﷺ فخطابنا معه له أصل في الدين . وهو خطابنا معه في تشهدنا لكل صلاة نؤديها بـ (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) أليس كذلك ؟ .

الشيخ : نعم ... إنه ﷺ له روح عالية الدرجات موهوبة منه سبحانه وتعالى فضائل لا يعلمها إلا هو ، وأنه تعالى يخبره ويُعْلِمه بصلاة المصلين وخطاب الحاضرين والغائبين[1] ...

☆ ☆ ☆

(١) الرد المحكم المنيع ص ٩٠ لمؤلفه يوسف هاشم الرفاعي .

فصل
« في معرفة الأموات بالأحياء وسلامهم »

أبو حميد : هذا رسول الله ﷺ . فما حال الأموات ؟ هل يعرفون زوارهم ؟ وهل يسمعون سلامهم ؟ وهل يردون سلامهم ؟ .

الشيخ : يعرفون ، ويسمعون ، ويردون السلام ، قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ : « ما من رجل يزور قبر أخيه ، ويجلس عنده إلا استأنس به ، وردّ عليه حتى يقوم »[1] .

أبو حميد : هذا إذا كان الميت يعرف الزائر ، فماذا يفعل مع الزائر الذي لا يعرفه ؟ .

الشيخ : يردّ عليه السلام فقط . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « إذا مرّ الرجل بقبر رجلٍ يعرفه فسلّم عليه ردّ عليه السلام وعرفه ، وإذا مرّ بقبرٍ لا يعرفه ، فسلّم عليه ردّ عليه السلام »[2] .

أبو حميد : تفضلتم بأن الميت يعرف ويسمع الزائر ، وقد قال الله سبحانه في كتابه العزيز : ﴿ إنّك لا تُسْمِعُ الموتى ... ﴾ [الروم : ٥٢] فكيف التوفيق بين الأحاديث المذكورة

---

(١) كتاب الروح لابن القيم ص ١١ ط دار المدني .

(٢) المصدر السابق ص ١٢ ط دار المدني .

التي تصرح بأن الميت يسمع وبين هذه الآية التي تصرّح بأن الرسول ﷺ لا يُسمع الموتى ... ؟ .

الشيخ : أجل إن الرسول لا يسمع الموتى ، ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذي يسمع الموتى أما قرأت قوله تعالى : ﴿ إنَّ اللهَ يُسْمِعُ منْ يشاء ، وما أنت بمسمعٍ منْ في القبور ﴾ [فاطر : ٢٢] فإنه لولا خلق الله للأسْماع لم يكن إسماع لأيّ شخصٍ من أيّ شخصٍ حتى في حالة الحياة الدنيا ، وفي حالة اليقظة ، ولكن الله يسمعهم ، وإلا فكيف كان ﷺ يتكلم مع قتلى بدرٍ الواقعين في القليب ؟ وكيف يقول ﷺ : « إن الموتى ليسمعون قرع نعال المشيعين لهم » فإنه ثبت عنه ﷺ : « أن الميت يسمع قرع نعال المشيعين له إذا انصرفوا عنه »(١) أخرجه الشيخان .

زيـد : سبق – يا مولانا – أن دللتم على أن أعمال الأمة تعرض على رسول الله ﷺ ، وأنه يُسَرُّ بخيرها ، ويستغفر الله لمن يأتي بشرها . بقي سؤال في النفس هو : هل يعرف الأموات – غير الرسول ﷺ – أخبار الأحياء وأعمالهم ؟ وكيف ؟ ... .

الشيخ : نعم تعرض الأعمال على الأموات ، ويعرفون أحوال الأحياء ، قال ابن تيمية رحمه الله : « وقد استفاضت

---

(١) كتاب الروح لابن القيم الجوزية ص ١١ ط دار المداني .

الأخبار بمعرفة الميت بحال أهله وأصحابه في الدنيا ، وأن ذلك يعرض عليه ، ويدري ما يفعل عنده ، ويسرّ بما كان حسناً ويتألم بما كان قبيحاً »[1] .

أبو حميد : هل تعرض أعمال الأحياء على الأموات كل وقت ، فيعرفون ... ؟

الشيخ : لا ... بل تعرض عليهم يوم الجمعة فيعرفون ، روى الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » من طريق عبد الغفور بن عبد العزيز بن سعيد الشامي عن أبيه عن جده ، وكانت له صحبة ، قال قال رسول الله ﷺ : « تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس على الله وتعرض على الأنبياء وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة ، فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضاً وإشراقاً ، فاتقوا الله ، ولا تؤذوا موتاكم »[2] وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم ، فإن كان خيراً استبشَرُوا به ، وإن كان غير ذلك قالوا : اللّهم ألْهمهم أن يعملوا بطاعتك »[3] وعن أبي هريرة رضي

---

(١) كتاب الرد المحكم المنيع لمؤلفه يوسف الرفاعي ص ٩٢ .
(٢) كتاب الرد المحكم لمؤلفه يوسف الرفاعي ص ١١٥ .
(٣) المصدر السابق ص ١١٧ .

الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تفضحوا موتاكم بسيآت أعمالكم ، فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور » .

ولذلك قال أبو الدرداء رضي الله عنه : « إني أعوذ بك أن أعمل عملاً أُخزى به عند عبد الله بن رواحة » وكان قد مات وهو خاله[1] .

أبو حميد : جزاكم الله عنا خير الجزاء – يا مولانا ، آمنا بما جاء به رسول الله ﷺ كما أمرنا ربنا سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ [الحشر : ٦] ...

☆ ☆ ☆

---

(١) إحياء علوم الدين ص ٤٩٧ من الجزء الرابع . ط مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

فصـل

« في كيفية إدراك الميت أحوال الأحياء »

زيـد : هل يدرك الميت كما يدرك في حياته بروحه القارّة في جسده ، أم بالروح فقط دون التلبس بالجسد ؟ ...

الشيخ : يدرك بروحه فقط ، فهي تسمع من يزورها وتعرفه وتردّ عليه السلام ، وتحس بلذة النعيم وألم الجحيم ، فالروح حينما تخرج من الجسد ، ويموت الإنسان تنتقل من عالم الشهود ، وتتفلت من قيوده وطبيعته ، ذاهبةً إلى عالم الغيب ، وذلك العالم القائم بذاته ، والذي له قوانينه ونواميسه التي خلقها الله لمخاليقه من الملائكة والجن والأرواح ومما لا يعلمه إلا هو .

فهل ينكر أحد كلام الملائكة أو كلام الجن أو سماعهم أو رؤيتهم ؟ لقد استفاضت الأحاديث النبوية والآيات القرآنية برؤيتهم وكلامهم وسماعهم ، فلا ينكر شيئاً من ذلك إلا الغافلون ... فنحن نصدق بأن القبر يوسع على الميت من أهل السعادة بمقدار لا يعلمه الله تعالى ، وأنه يبقى في النعيم إلى ما يشاء الله ، وكذلك نصدق بأن الحيّة ـ مثلاً ـ موجودة تلدغ الميت ، ولكنا لا نشاهد ذلك ، فإن هذه العين لا تصلح لمشاهدة تلك الأمور البرزخية وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم البرزخ .

أبو حميد : إذاً النعيم والعذاب ينصبان على الروح فقط .

الشيخ : إن الصحيح الذي عليه أكثر الأئمة أن الثواب والعذاب على مجموع الروح والجسد .

أبو حميد : ولكن الجسد قد يحرق فيصير هباءً منبثاً ، أو يتفتت ويرمّ فكيف يتنعم هذا الجسد الرميم ... أو يتألم ؟ .

الشيخ : إن الجسد المتنعم والمتألم ليس هذا الجسد المادي المرئيُّ المشهود بل الجسد البرزخي .

أبو حميد : لا أفقه ما تقول يا سيدي ... ! .

الشيخ : الجسد البرزخي معناه أنه يخلق الله تعالى لروح المتنعم أو المتألم جسداً لطيفاً كجسد الملائكة التي لا فرق فيه بين المحل الكبير والصغير ، ولا يمنعه مانع من قبوله التنعم والتعذب ليسهل تصور ذلك لمن له إلمام بالوحي والرسالة .

زيد : سيدي من تأمل عجائب الملك والملكوت وغرائب صنعه تعالى لم يستنكف عن قبول أمثال هذه الأشياء ...

الشيخ : يا بني إن للنفس نشآت ، وهي في كل نشأة منها تشاهد صوراً تقتضيها تلك النشأة ، فكما أنا نشاهد في المنام صوراً لا نشاهدها في اليقظة ، كذلك نشاهد في حال انخلاعنا عن البدن أموراً لم نكن نشاهدها في الحياة .

وقد يشير إلى ذلك قول من قال : الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا[1] .

☆ ☆ ☆

---

(١) كتاب الرد المحكم لمؤلفه يوسف الرفاعي ص ٨٨ .

القسم الثاني

المشاهد والآثار
بالمدينة المنورة في عهده ﷺ

أبو حميد : سيدي بقي في النفس أن أسألكم عن المشاهد والآثار في المدينة المنورة ، في عهد رسول الله ﷺ التي كان ﷺ يتجول بينها ، ويتحول إليها بين فترة وأخرى كيما نتبع آثاره ﷺ ، تلك الآثار التي كان يزورها ، وفيها كان يحدّث أصحابه ، وفيها كان القرآن ينزل عليه منجماً ، وترسل السماء فيها رسائلها ، وتبعث أشعة الوحي لتبدد ظُلْم الأرض وظلماتها ، فإن المرء – يا سيدي – حينما يشعر بأنه في مهبط جبريل ولقائه بالرسول الأمين ﷺ ، تعلو به الروح إلى جنابه ﷺ ، وتسمو به الأشواق إلى تلك الأجواء الروحانية التي كانت تعجُّ بالمؤمنين الصادقين حول نبيّ الله ﷺ هو يرسم للدنيا نظامها الإلهي ، ويطهّر حياة الناس مما لحق بها من أدران الجاهلية في تاريخها المديد ...

الشيخ : قلتَ حقاً ، ونطقت صدقاً ، لا فضّ فوك يا أبا حميد ، فإن الحياة مع رسول الله ﷺ – فداه أبي وأمي – وسيرته العطرة حياة تزكو بها النفس ، وتسعد بها الروح ، فما النبي إلا إشراق إلهي على الإنسانية ورحمة الله على عباده ، وسفير السماء إلى مملكة الأرض وأهلها ... فأعظم به وأكرم ...

يقول أديب العربية الكبير الأستاذ مصطفى صادق الرافعي

في مقام هذا النبي العظيم ، وأثر ذكره في نفوس المسلمين ، وإن امتد الزمن وطال ... يقول متعجباً :

« وعجيب أن يجهل المسلمون حكمة ذكر النبي العظيم خمس مرات في الأذان ، كل يوم فيُنادَى باسمه الشريف ملء الجو ، حكمة ذكره في كل صلاة من الفريضة والسنة والنافلة يُهمس باسمه ملء النفس !

وهل الحكمة من ذلك إلا الفرض عليهم ألا ينقطعوا عن نبيّهم ولا يوماً واحداً من التاريخ ، ولا جزءاً واحداً من اليوم ، فيمتد الزمن مهما امتد والإسلام كأنه على أوله ، وكأنه في يومه لا في دهر بعيد ، والمسلم كأنه مع نبيّه بين يديه ، تبعثه روح الرسالة ، ويسطع في نفسه إشراق النبوة . فيكون دائماً في أمره كالمسلم الأول الذي غيّر وجه الأرض ، ويظهر هذا المسلم الأول بأخلاقه وفضائله ، وحميّته في كل بقعة من الدنيا مكان إنسان هذه البقعة ، لا كما نرى اليوم ، فإن كل أرض إسلامية يكاد لا يظهر فيها إلا إنسانها التاريخي بجهله وخرافاته وما ورث من القدم .

فهنا المسلم الفرعوني ، وفي ناحية المسلم الوثني ، وفي بلد المسلم المجوسي وفي جهة المسلم المعطل ... وما يريد الإسلام إلا نفس المسلم الإنساني أيّها المسلم لا تنقطع عن

نبيّك العظيم ، وعش فيه أبداً ، واجعله مثلك الأعلى »[1] .

أبو حميد : لذلك أرجو أن تتكرموا بذكر ما يحضركم من تلك المشاهد والآثار لعلنا نزورها ، ونعيشُ بعض الوقت في أكنافها وأجوائها إرواءً لما في أنفسنا من الشوق إلى النبوة وينابيعها الفيّاضة برحمة السماء ...

الشيخ : زادكم الله حرصاً على العلم والتفقه في الدين وحباً للنبي العظيم ﷺ . سأذكر لكم ما أعلمه من المساجد والآبار التي ذكرها ابن حجر الهيتمي في شرحه عن كتاب « الإيضاح لمناسك الحج » للإمام النووي رحمهما الله أنقلها كما جاءت فيه دون أن أتدخل فيها بالتصرف ، وأنّى لنا أن نتصرف فيها وقد اندثرت ... لم يبق منها إلا الذكرى ، إلا ما عصمها الله من الاندثار ، غير أني رتبتها حسب حروف الهجاء تسهيلاً على من يحب أن يراجعها ويزورها ، ليتحقق من وجودها أو أمكنة وجودها وإليكها يا أبا حميد :

---

(١) وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي رحمه الله ـ الجزء الثاني ـ الصفحة ١٠ الطبعة الرابعة .

الباب الأول

المساجد

أ

مسجد الإجابة : لبني معاوية ، وهو شمالي البقيع على يسار السالك العريض وسط تلول .

في مسلم أنه ﷺ ركع ركعتين وصلينا معه ، ودعا ربَّه طويلاً ، ثم انصرف إلينا فقال : سألت ربي ثلاثاً ، فأعطاني ثنتين ومنعني واحدةً ، سألته أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها ، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها .

ب

مسجد بني قريظة : قرب حجرتهم الشرقية على باب حديقة تعرف بحاجزة وقف للفقراء .

صلى النبي ﷺ في بيت امرأة ، أدخله فيه الوليد بن عبد الملك حين بناه ، ذرعه نحو ٤٤ ذراعاً في ٤٤ ذراعاً .

مسجد بني ظفر : من الأوس شرقي البقيع ، بطرف الحَرَّة الغربية ،

يعرف اليوم بمسجد البغلة . ورد أنه ﷺ صلى فيه ، وأنه جلس على حجر فيه .

وصح أنه ﷺ جلس على صخرة فيه ومعه عبد الله بن مسعود ومعاذ ابن جبل وأنس من الصحابة ، وأمر قارئاً ، فقرأ إلى ﴿ وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ... ﴾ فبكى حتى اضطرب لحياه ، فقال : أي ربي على من أنا بين ظهرانيه ، فكيف بمن لم أر ؟ وفيه الآن حجر على يسار داخله لا غير[1] وذرعه ١١ ذراعاً في ١١ ذراعاً .

مسجد البقيع : على يمين الخارج من دربه ، عند مسجد سيدنا عقيل .

قال السيد : والذي يظهر أنه مسجد أبيّ بن كعب الذي ورد أنه ﷺ كان يختلف إليه فيصلي فيه ، وقال لولا أن يميل الناس إليه لأكثرت الصلاة فيه .

ج

مسجد الجمعة : صلاها ﷺ لما خرج من قباء فيه أو قريباً منه ، وهو أول جمعة صلاها بالمدينة ، وطوله ٢٠ ذراعاً في ١٦ ذراعاً .

مسجد جبل أحد : لاصق به على يمينك وأنت ذاهب في الشعب للمهراس ، ويسمى الآن (مسجد الفسح) ، ويقال أنزل فيه آية :

---

(١) حذفنا سطوراً مما كتبه ابن حجر الهيتمي رحمه الله لضعف الصلة بين المسجد وبين مضمون السطور المحذوفة . ومن يراجعه يطمأن إلى ما ذكرنا .

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسّحوا في المجالس فافسحوا ﴾ وأنه ﷺ صلى فيه الظهر والعصر يوم أُحدٍ بعد انقضاء القتال .

س

مسجد السُّقيا : شامي بئر السقيا ، قريباً منها جانحاً إلى المغرب يسيراً في طريق المار إلى المدرج . ذكره بعض المتقدمين في المساجد التي تزار بالمدينة ، روي أنه ﷺ عرض جيش بدر بالسقيا ، وصلى في مسجدها ، ودعا لأهل المدينة أن يبارك لهم في صاعهم ومدهم ، وأن يأتيهم بالرزق من ههنا وههنا . قال السيد : وأرسلت بعض العمال ليحفروا عن أساسه فظهر تربيعه وبقية محرابه ، فبني على أساسه . وهو نحو ٧ أذرع في ٧ أذرع .

ط

مسجد طريق السافلة : هي الطريق اليمنى الشرقية إلى مشهد حمزة رضي الله عنه قرب النخيل المعروفة بالبحير ، وعن يمين نقع الأسواق ، وهو صغير ، طوله ثمانية أذرع ، يقال : إنه مسجد أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، وفي « شعب » البيهقي أنه ﷺ خرج من الباب الذي يلي المقبرة فدخل حائطاً من الأسواق فتوضأ ثم صلى ركعتين ، فسجد سجدة أطال فيها ، ثم قال لعبد الرحمن بن عوف : « إنَّ جبريل عليه السلام يبشرني أنه من صلّى عليّ صلى الله عليه ، ومن سلّم عليّ سلّم الله عليه » .

قال السيد : والأسواق قريبة من محل هذا المسجد ، فلعلّه محل السجدة المذكورة .

فـ

مسجد الفضيخ : شرقي مسجد قباء علىَ شفير الوادي ، على نُشُزٍ مرضومٍ بحجارة سود ، وهو مربع ، ذرعه ١١ ذراعاً في ١١ ذراعاً .

ضرب ﷺ قبته قريباً منه ، وكان يصلّي فيه مدة محاصرته لبني النضير ، وهي ست ليالٍ ، سمي بذلك لأن أبا أيوب ومن معه كانوا يشربون فيه فضيخاً فجاءهم الخبر بتحريمها فأراقوها فيها .

مسجد الفتح : والمساجد التي جهة قبلته تعرف كلها بمساجد الفتح ، والأول المرتفع على قطعة جبل من (سلع) يصعد إليه بدرج وهو المراد بذلك عند الإطلاق ، ويسمى (مسجد الأحزاب) وصح أنه ﷺ دعا فيه عليهم الاثنينَ والثلاثاءَ والأربعاءَ فاستجيب له يوم الأربعاءِ بين الصلاتين ، فعرف البشرى في وجهه . قال جابر : فلم ينزل بي أمر مهم غليظ إلا توجهت تلك الساعة ، فأدعو فيه فأعرف الإجابة .

وسمي بذلك لقوله ﷺ كما في مغازي ابن عُقْبة لما صلى فيه ودعا : « أبشروا بفتح الله ونصره ، والقول بأن سورة الفتح أنزلت فيه لا أصل له .

والمحل الذي دعا فيه ﷺ وصلّى يقابل اليوم محراب المسجد من الرحبة .

وذكر بعضهم أنه ﷺ صلّى في المساجد التي حوله وهو ظاهر في أنها ثلاثة ، وبه صرح غيره ، وأن الذي يلي المسجد الأعلى يعرف بمسجد سلمان الفارسي ، والذي يلي قبلة سلمان يعرف بمسجد علي رضي الله عنه ، والثالث كان خراباً ، وهو مبني الآن ، ويعرف بمسجد أبي بكر رضي الله عنه .

قال السيد : ولم أقف على أصل لهذه النسب الثلاث .

ذرع الأول عشرون ذراعاً في سبعة عشر ذراعاً .

والمنسوب لسيدنا علي ثلاثة عشر ذراعاً في ستة عشر ذراعاً .

ق

مسجد قباء : في كتاب « الترمذي » وغيره عن أسيد بن ظهير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « صلاة في مسجد قباء كعمرة » وفي « الصحيحين » عن ابن عمر رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يأتي مسجد قباء راكباً وماشياً فيصلّي فيه ركعتين ، وفي رواية صحيحة : كان يأتيه كل سبت .

مسجد القبلتين : لبني سواد بن سلمة ، والأرجح أن تحويل القبلة كان وهو ﷺ يصلي به الظهرَ بعد ما صلى ركعتين ، وجاء ثمّ لزيارة إمرأة من بني سلمة فصنعت له طعاماً وقيل لم يكن ﷺ معهم بل أُخبِروا فاستداروا . ونوزع فيه بأن مسجد قباء حينئذ كان أولى بهذه التسمية لما صح من وقوع ذلك به .

م

مسجد مشربة أم إبراهيم عليه السلام : وهو شمالي الذي قبله ، قريب منه . روي أنه ﷺ صلّى فيه . والمشربة الغرفة وهي من صدقاته ﷺ ، وسمي بذلك لأن مارية رضي الله عنها ولدت إبراهيم عليه السلام فيه ، وتعلقت حين ضربها المخاض بخشبة منها معروفة .

وذرعه أربعة عشر ذراعاً في نحو أربعة عشر ذراعاً .

المسجد المقابل لمشهد سيدنا حمزة رضي الله عنه : وهو على الجبل الذي كان عليه الرماة يوم أحدٍ ، وقد تهدم غالب هذا المسجد ، ويقال إنه الموضع الذي طعن فيه سيدنا حمزة رضي الله عنه .

و

مسجد الوادي : على شفير شامي الجبل المذكور ، قريب من المسجد الذي قبله . كان مبنياً على هيئة البناء العمري ، يقال إنه مصرع سيدنا حمزة رضي الله عنه لما قتل ، ثم أمر به ﷺ فحمل ، وكان به مسن مكتتب فيه بعد البسملة آية : ﴿ إنما يعمر مساجد الله ﴾ (إلخ)[1]

---

(١) كلمة (إلخ) من زياداتي ، لأن الآية لا يتم معناها بدون ذكر فاعل (يعمر) وهو قوله : ﴿ من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ [التوبة : ١٨] الذي ينوب عنه عبارة (إلخ) .

هذا مصرع حمزة بن عبد المطلب ومصلى رسول الله ﷺ .

وتسميته بالمصلى إما لكونه ﷺ صلى به الصبح على ما قيل ، أو صلى حمزة رضي الله عنه به على ما ورد .

وكان نقل إلى قبر حمزة ثم ردّ إلى محله .

☆ ☆ ☆

الباب الثاني

« الآبار في عهد رسول الله ﷺ التي كان يتوضأ منها ويغتسل ويشرب ... »

أ

بئر أريس : بوزن جليس ، وهي التي توضأ ﷺ منها وجلس على وسط قفّها ، وكشف عن ساقيه ، ودلّاهما فيها ، ثم جاء أبو بكرٍ رضي الله عنه فاستأذن وجلس عن يمينه ، ﷺ ، ثم عمر . وجلس عن يساره ﷺ ثم عثمان ، فوجد القفّ قد ملىء ، فجلس وجاههم من الشق الآخر . ذكره البخاري . وذكر أن خاتمه ﷺ الذي كان في يده ثم في يد أبي بكر رضي الله عنه ثم في يد عمر رضي الله عنه ثم في يد عثمان رضي الله عنه – سقط من عثمان فيها ، فنزحها ثلاثة أيام فلم يجده .

وفي « مسلم » سقط من مُعَيْقيب بعد ست سنين من خلافته ، فكان مبدأ الفتنة .

وطول قفّها الذي جلس النبي ﷺ عليه وصاحباه نحو ثلاثة أذرع ، ورفعه ابن الزمن ثلاثة أذرع ، وهي عند مسجد قباء يُنزَلُ إليها بدرج متحددة .

بئر الأعواف : أحد الصدقات النبوية ، ورد أنه ﷺ توضأ بجانبها فسال

الماء فيها . وثَمَّ آبار متعددة لا ندري أيّ الآبار هي .

بئر أبا كهنا : وقيل كخنثى ، وقيل بموحدة بدل النون[1] ، ورد أنه ﷺ ضرب قبته عليها حين حاصر بني قريظة ، وشرب منها ، وصلى بالمسجد الذي هناك ، وهي غير معروفة .

بئر إهاب : تعرف اليوم بزمزم . ورد أنه ﷺ بزق فيها ولم يزل أهل المدينة قديماً وحديثاً يتبركون بها ، وينقل إلى الآفاق من مائها ، كما ينقل من ماء زمزم ، وسموها بذلك لبركتها .

بئر أبي عنبة : بلفظ واحدة العنب ، وهي على ميل من المدينة .

قال السيد : ولعلّها المعروفة اليوم ببئر (ودى) . ورد أنه ﷺ ضرب عسكره عليها لما ذهب إلى غزوة بدر ، فعرض أصحابه ، وردّ من استصغره .

بئر أنس بن مالك : قال السيد : والمتلخص من كلام ابن شُبة أنها المعروفة اليوم بالرباطية ، وقف رباط اليمنية ، شامي الحديقة المعروفة اليوم بالرومية . ورد أنه ﷺ بزق فيها فلم يكن بالمدينة أعذب منها .

ـ ب ـ

بئر بُصة : بموحدة مضمومة فمهملة مخففة ، وقيل مشددة من بص الماء

---

(١) أي : أبا كهبا .

رشح ، والأول من وبص كوعد إذا بلغ ، أو من وبص لي إذا أعطاني .
ورد أنّه ﷺ غسل رأسه منها بماء مع سدرٍ ، ثم صبت غسالة رأسه ومزاقة شعره فيها ، وهي قريبة من البقيع على طريق (قباء) في حديقة موقوفة وثَمَّ بئر كبرى وصغرى رجح بعضهم أنها الكبرى ، وميل كلام السيد إلى أنها الصغرى .

بئر بُضاعة : بموحدة مضمومة ، وقيل مكسورة فمعجمة ، وقيل مهملة ، ثم عين مهملة ، غربي بئر (برحاء) إلى جهة الشمال .

صحّ أنه ﷺ قال : لما قيل له نستقي من بئر بُضاعة ، وهي بئر يلقى فيها لحوم الكلاب . والمحايض ، وعذر الناس : « الماء الطهور لا ينجسه شيء » .

وورد أنه ﷺ توضأ من دلوٍ منها وردّه إليها وبصق فيها . وكان إذا مرض مريض في أيامه يقول اغسلوني منها فيغسل ، فكأنما نشط من عقال ، وقالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما : كنا نغسل المرضى منها ثلاثة أيام فيعافون . وهي بالحديقة التي هي فيها وقف الآن .

ج

بئر جمل : سميت بجملٍ مات فيها ، أو حافرها رجل اسمه ذلك قيل هي معروفة بناحية الخط المعروف اليوم بخرق الجمل شرقي مؤخر المسجد إلى السور .

ح

بئر بيرحاء : بموحدة مفتوحة أو مكسورة ثم راء مفتوحة أو مضمومة بالمد فيهما وبفتحهما والقصر فيعلى من البراح وهي الأرض المنكشفة وقيل اسم مركب ، فتعرب الراء على لغة ضعيفة ، و « حاء » اسم رجل أو امرأة أو مكانٍ أضيف إليه البئر .

وفي الصحيح أنه ﷺ كان يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب . وهي بوسط حديقة قريبة من سور المدينة شماليه . قال السيد : والظاهر أن بعضها اليوم داخله .

بئر حاسوم : وهي غير معروفة . ورد أنه ﷺ شرب منها .

بئر حلو : وهي غير معروفة .

د

بئر درع : وهي غير معروفة .

ر

بئر رُومة : بالضم . ورد « نعم القليب قليب الموتى » فاشتراها عثمان رضي الله عنه فتصدق بها ، ولابن عبد البر : كانت ليهودي يبيع ماءها للمسلمين ، فقال رسول الله ﷺ : « من يشتري رومة فيتصدق بها فيجعلها للمسلمين ، يضرب بدلوه في دلائهم وله بها شِرْب في الجنة ؟ »

فساوم عثمان اليهودي ، فأبى عن بيع كلها ، فاشترى منه نصفها بإثني عشر ألف درهم ، فجعله للمسلمين ، ثم خيّره بين قسمتها أو يكون لكلٍ يوم ، فاختار الثاني ، فكان المسلمون يستسقون يوم عثمان ما يكفيهم يومين ، فلما رأى ذلك قال : أفسدت عليّ ركيتي ، فاشترى النصف الآخر بثمانية آلاف درهم ، وكانت خربةً فأحياها قاضي مكة أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد المحب الطبري في حدود الخمسين وسبعمائة .

س

بئر السقيا : بضم المهملة وسكون القاف ، تعرف الآن بـ (بئر الأعجام) لأن بعض فقرائهم جددها ، وهي في آخر منزلة النقا على يسار السالك إلى بئر علي بالمحرم .

ورد أنه ﷺ كان يُستَسقى له الماء العذب منها .

ع

بئر العقبة : قيل هي التي أدلى رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما أرجلهم فيها . وهو – إن صحّ – يكون قصة أخرى غير ما ورد في بئر أريس .

بئر العهن : بكسرٍ فسكونٍ ،قيل هو الصوف الملون ، قيل : هي معروفة بالعوالي ، منقورة في الجبل . قال السيد : والذي ظهر لي أنها بئر اليسيرة .

غ

بئر غرس : بمعجمة مضمومة أو مفتوحة فراء ساكنة أو مفتوحة وهي شرقي مسجد قباء على نصف ميل إلى جهة الشمال ، وحولها مقبرة .

ورد : « يا علي إذا أنا مت فاغسلني من بئر[1] غرس بسبع قرب لم تحلل أو كيتهن » وأنه ﷺ قال : إني رأيت الليلة أني أصبحت على بئر من الجنة ، فأصبح على بئر غرس ، فتوضأ منها وبزق فيها ، وأهدي له عسل فصبه فيها ، وكانت خراباً ، فجددت بعد السبعمائة ، وعرضها عشرة أذرعٍ ، ثم خربت فاشتراها (قاوان) وحوط عليها حديقة ، وعمرها ، وجعل لها درجة ينزل إليها منها من داخل الحديقة وخارجها ، ونشأ بجانبها مسجد عام اثنين وثمانين وثمانمائة .

ق

بئر القراضة : ورد أنه ﷺ بصق فيها ، وهي غير معروفة ، إلَّا أنها غربي مساجد الفتح .

بئر القريضة : ورد أنه ﷺ توضأ منها ، وشرب ، وبصق فيها ، وسقط فيها خاتمه فنزع . وهي غير معروفة لكن شرقي المدينة بئر تعرف بذلك ، فلعلها هي .

---

(١) في الأصل : (من بئري بئر غرس) ورأينا أن الصواب ما كتبناه .

ي

بئر اليسيرة : من اليسر ضد العسر ، ورد أنه ﷺ سمّاها بذلك لما قيل له : إن اسمها (عسيرة) وبصق فيها وبرّك ، وسبق في العهن أن الظاهر أنها هذه .

☆ ☆ ☆

الخاتمة

١ ـ وبعد : فقد علم مما كتبنا في هذا البحث أن **زيارة القبور عامة سنة من سنن الإسلام** المقررة بلا خلاف ، إذ يقول رسول الله ﷺ : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » رواه مسلم .

٢ ـ ومما لا ريب فيه أن **قبر النبي ﷺ قبر من القبور ، داخل فيها** ، و لم يرد نص يخرج قبره ﷺ من هذا الحكم العام للقبور ، وزيارة قبره ﷺ أبلغ تأثيراً من أيّ قبر آخر ، وألصق بقصد الشارع ﷺ من زيارة القبور ، وهو التذكير بالموت .

٣ ـ وعلم أيضاً أن زيارة القبور قد تكون بالرحلة إليها لبعدها ... وقد تكون الزيارة دون الرحلة لقربها ، فالزيارة المسنونة التي دعا إليها النبي ﷺ تشمل الصورتين ، فلا وجه لجواز صورة ومنع صورة .

والذي يذهب إلى منع الصورة الحاصلة بالرحلة يرجح دون مرجح ... ! ويدّعي دون دليل ... !! .

وقد علمنا أنه لا دليل لا من الكتاب ولا من السنة يمنع الرحلة إلى زيارة قبر النبي ﷺ ، وأن الذين يمنعون الرحلة إليه مستدلين بحديث : « لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا » لم يصيبوا ... كيف يكون الحديث

دليلاً على منع الرحلة لزيارة قبره ﷺ وهو حديث عن الرحلة إلى المساجد ... لا علاقة له بالقبور لا منطوقاً ولا مفهوماً ومتى دلّت كلمة المساجد على القبور ... ؟ !! .

٤ ـ وبيّنا كيفية زيارة قبره ﷺ تخلصاً مما يفعله بعض الجهلة من المسلمين . لأن الجهل ظلام تختلط فيه الأمور ، ويتعثر في دياجيره المتعثرون ، فبنور العلم يطرد ظلام الجهل ، وبشمس المعرفة تنقشع غيومه .

٥ ـ وذكرنا في هذا البحث أيضاً الصلة بين الزائر والمزور عند زيارة القبور بين النبي ﷺ وبين زائريه أولاً ، ثم بين زوار القبور والمقبورين ثانياً كما جاء في الأحاديث المروية الصحيحة ، ليكون الزائر على فهمٍ لحقيقة زيارته ، وعلى علمٍ أنّ الأموات يعرفون الزوار ، إن كانوا ممن يعرفونهم في الحياة الدنيا ، ويفرحون بصالح عملهم ، ويحزنون بباطله ، ويدعون الله تعالى أن يلهم الأحياء طاعة ربهم .

٦ ـ وقد ألحقنا ببحثنا هذا المساجد والآبار التي كان ﷺ يصلّي فيها ، ويتوضأ منها ، ويشرب ويغتسل تتميماً للفائدة الروحانية للزوار ، واستشراقاً لما كان يفعله النبي مع أصحابه في تلك الآثار .

سائلين الله عز وجل أن يجعل هذا العمل المتواضع في ميزاني يوم القيامة وقربة إلى حضرة النبي ﷺ ، ويتقبله خالصاً لهُ سبحانه ، وبياناً لوجه الحق فيه ، وأداءً للأمانة ...



مراجع البحث

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ صحيح مسلم .

٣ ـ كتاب الإيضاح للإمام النووي .

٤ ـ المنتقى المختار من كتاب الأذكار للصابوني .

٥ ـ كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب .

٦ ـ الروح لابن القيم الجوزية .

٧ ـ شرح الإيضاح لابن حجر الهيتمي .

٨ ـ الإحياء للإمام الغزالي .

٩ ـ التحذير من كتاب الاغترار ... لعبد الحي العمروي وعبد الكريم مراد .

١٠ ـ الرد المحكم المنيع ليوسف الرفاعي .

١١ ـ وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي .

١٢ ـ رياض الصالحين للنووي .

المحتوى

الموضوع — **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

هذا الكتاب

يُعالِجُ هَذَا الكِتابُ مَسْأَلةً طالما شَغَلَتِ المسلمِينَ دُونَ أنْ يكونَ لِذَلِكَ مبرّرٌ ألا وهِيَ مَسْأَلةُ شَدِّ الرِّحالِ لزِيارَةِ قَبْرِ النَّبيِّ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ ودارتْ حوْلَهَا مُساجَلاتٌ فِقهيّةٌ تفُوقُ الحصْرَ، فعَالجَهَا المؤلِّفُ بمَنْطِقٍ عِلميٍّ رَزِينٍ، وَضَعَ الحَقائِقَ مواضِعَهَا. وَبيّنَ بِمَا لا مجَالَ للشّكِ فِيهِ أنَّ التّعمُّقَ في فهْمِ النُّصُوصِ والصِّدقَ مَعَ اللهِ تعَالى يَسُوقُ كلَّ مُخلِصٍ إلى الحقِّ مهْما كانَ مَوْقِفُهُ.

كمَا بيّنَ هَذا الكِتابُ بِطَرِيقَةِ حِوارِهِ الأُسْلوبَ الأخلاقيَّ الذي يَنْبَغي أنْ يَلتزِمَهُ المُسْلِمُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ في كُلِّ بَحْثٍ أوْ اختِلافٍ.

الناشر

